الإعلام

ببطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير
لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الإعلام

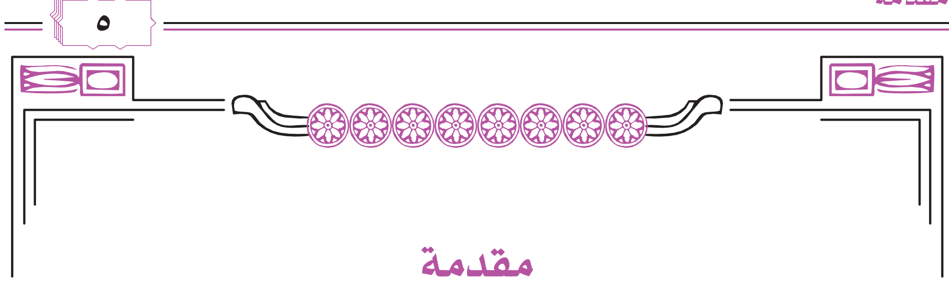
ببطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

إعداد

فيصل بن قزار الجاسم


بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فقد خص الله تبارك وتعالى هذه الأمة من بين سائر الأمم بحفظ دينها وشريعتها، حيث تكفل سبحانه بذلك في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقد بيّن النبي ﷺ بعض أنواع هذا الحفظ في قوله: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدّد لها دينها**»[١].

وكان من مجددي هذه الأمة في القرن الثاني عشر: الإمام محمد بن عبد الوهاب[٢] رحمه الله تعالى، الذي جاء في وقت انتشرت فيه

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يُذكر في قرن المائة، رقم (٤٢٩١).

(٢) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد المشرفي الوهبي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من قرى نجد، وترعرع في أسرة علمية، فأخذ العلم عن والده وكان قاضياً في العيينة، وعن جده سليمان وكان من أكابر علماء نجد، ورحل في طلب العلم إلى مكة والمدينة والأحساء والبصرة، والتقى بكثير من العلماء وأخذ العلم عن كثيرين، منهم: المحدث محمد حياة السندي وعبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي ومحمد المجموعي وغيرهم، ثم انتقل إلى بلدة حريملاء سنة ١١٣٩هـ ملتحقاً بوالده بعد تركه للعيينة لخلاف نشب مع أميرها، وبعد وفاة والده رجع إلى بلدة العيينة بطلب من أميرها، وصار قاضياً فيها، وقد بصره الله تعالى بالحق فدعا إلى تجريد التوحيد لله تعالى ونبذ صور الشرك المنتشرة آنذاك في نجد كدعاء الموتى والغائبين والتبرك بالأشجار والأحجار ونحو ذلك من صور الشرك والبدع، وقد انتشر صيته وعُرف بالدعوة إلى التوحيد الخالص، فعاداه علماء السوء والجهلة من العوام، وابتلي في سبيل ذلك، ثم ترك الشيخ العيينة بعد توالي =

الجهالة، وظهرت مظاهر الشرك والبدعة في عامة بلاد المسلمين لا سيما الجزيرة العربية، وفي بلاد نجدٍ على الخصوص، حتى نشأ عليها الصغير وشاب عليها الكبير، فقام الإمام محمد بن عبد الوهاب قيام صدق وحق، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، فدعا إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وحذَّر من الشرك في العبادة، ومن البدع والمحدثات، وسلك في دعوته جميع السبل لبيان حقيقة أصل الدين وإيضاحه، فناظر وكاتب وأجاب وصنَّف وعلّم ورحل في سبيل ذلك، حتى قيّض الله تعالى له الإمام محمد بن سعود(١) رَحِمَهُ اللَّهُ، فنصر دعوته ومكّن له وهيّأ له الأسباب لنشر هذه الدعوة، ولم تمض إلا سنون معدودة حتى مكّن الله لهم في الأرض، ودانت لهم الجزيرة، وانتشرت دعوة التوحيد بفضل دعوتهم وجهادهم.

وقد جرت سُنَّة الله تعالى في خلقه أنه ما من نبي يبعثه الله تعالى إلا وله أعداء يعارضون دعوته، ويصدون عن سبيله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]،

= التهديدات على أميرها تطالب بطرده منها وانتقل إلى بلدة الدرعية، فاستقبله أميرها محمد بن سعود وبايعه على الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك، فانتشرت الدعوة في ربوع نجد والحجاز والأحساء، وتوسعت الدرعية وامتد نفوذها حتى ملكت نجداً والأحساء والحجاز، وعم الخير وانتشر الأمن، وارتفعت رايات التوحيد، وطمست معالم الشرك والبدع، ثم توفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٢٠٦هـ.

(١) هو: الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن ربيعة بن مانع، من بني حنيفة من بكر بن وائل بن ربيعة، وكان أميراً على بلدة الدرعية من قرى نجد، وقد آوى الإمام محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٨هـ، وتبايعا على الدعوة إلى توحيد الله تعالى ومحاربة الشرك، فمكنه الله تعالى، وصارت له الغلبة والظهور، وأيده الله وتولاه، ولم تقم لمناوئيه قائمة، حتى عم سلطانه بلاد نجد، فأزال سنن الجاهلية، ومحى معالم الشرك والضلالة، وكان معروفاً بالديانة والتقى، والعدل في الحكم، والعطف على الرعية، وحسن السياسة، معظماً للسنة، مجلاً للعلماء، له من العلم بالوحيين النصيب الوافر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١١٩٧هـ في الدرعية، وضج الناس لفقده، ولهجوا بالدعاء له.

ولكل وريث للأنبياء نصيبٌ من العداوة، بقدر الإرث والاتباع.

وقد ابتُليت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بأعداء سعوا في تشويه الدعوة لمنع انتشارها، واجتهدوا في التأليب عليها لإطفاء نور الوحي، لكن ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ومما ابتُليت به الدعوة قديماً وحديثاً انتساب أهل الجهل والغلو إليها، وهم طائفتان:

الطائفة الأولى: قوم أحبوا الدعوة وأحبوا نصرتها، لكنهم جهالٌ لم يتفقهوا ولم يتعلموا، فظهرت منهم انحرافات كثيرة، كما جرى ممن يُعرفون في التاريخ بـ«الإخوان» الذين ظهروا في نجد.

الثانية: قومٌ أصحاب هوى، لهم أغراض سيئة واعتقادات قبيحة، فأرادوا الانتساب إلى الدعوة ليروج فِكرُهم بين الناس، وينخدعوا بهم.

ومن صور هذا الانتساب الباطل ما حدث في عهد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رحمه الله حيث قال: قد (رأيت سنة أربع وستين رجلين من أشباهكم المارقين بالأحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة، وكفّرا من في تلك البلاد من المسلمين، وحجتهم من جنس حجتكم، يقولون: أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يَكفُر بالطاغوت، ولم يصرّح بتكفير جده الذي ردّ دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها.

قالا: ومن لم يُصرِّح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله، ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى تركوا رد السلام، فرُفع إليّ أمرهم، فأحضرتهم وتهددتهم وأغلظت لهم القول، فزعموا أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم،

فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يُكفِّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله، من الشرك الأكبر والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجّة وبلوغها المعتبر؛ كتكفير من عَبَد الصالحين ودعاهم مع الله، وجَعَلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية، وهذا مجمع عليه عند أهل العلم والإيمان)[(١)].

ثم وقع الآن من أمثال: «القاعدة» و«داعش» و«بوكو حرام» و«أنصار بيت المقدس» و«جبهة النصرة» ونحوها من التنظيمات الغالية التكفيرية كما وقع من أسلافهم حذو القذة بالقذة.

وقد استغل أعداء هذه الدعوة المباركة وجود هذه الجماعات اليوم وما تحمله من انحرافات فكرية وعقدية، وما تمارسه من أفعال محرمة مستبشعة نسبوها للإسلام زوراً وبهتاناً وجهلاً، فسعوا إلى تشويه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية بنسبة هذه الجماعات المنحرفة إليها، وادَّعوا أنها خرجت من رحم الدعوة الإصلاحية، وزعموا أن ما تمارسه هذه الجماعات من غلوٍ في الفِكر والفعل ما هو إلا تطبيق عملي لمبادئ وأصول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية!!

وربما استأنس أعداء هذه الدعوة الإصلاحية باستشهاد بعض هذه الجماعات الغالية على باطلهم ببعض كلام أئمة الدعوة مما حرفوه عن معناه، أو أخرجوه عن صورته، أو آمنوا به وكفروا بلازمه، وربما استشهدوا أيضاً بطباعتها بعض كتب أئمة الدعوة ككتاب التوحيد لإمام الدعوة. ومعلومٌ أن هذا الصنيع ليس للدعوة فيه اختصاص، فإن هذه الجماعات الغالية تستدل على باطلها أيضاً بنصوصٍ من الكتاب والسُّنَّة، وبأقوال المذاهب الفقهية، وببعض نصوص الأئمة والعلماء قديماً

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٤٦٧).

وحديثاً، فإن لم يكن في مجرّد استدلالهم بهذه النصوص دليل على صحة انتسابهم للكتاب والسُّنَّة وللأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة، وأن الخلل في فهمهم للنصوص لا في النصوص ذاتها، فهو كذلك فيما استدلوا به من نصوص أئمة الدعوة، فإن الخلل في فهمهم وضعف تصورهم لا في كلام أئمة الدعوة وتقريراتهم.

ولولا التباس هذا الأمر على بعض المسلمين، لكان الإعراض عن هذه الفرية أولى لظهور بطلانها وزيفها، لكن لما كان المفسدون وأعداء الدعوة من مبتدعة المسلمين وغيرهم يثيرون هذه القضية في وسائل الإعلام، ويسعون جاهدين في إلصاق تهمة الغلو والتطرف وتكفير المسلمين واستباحة دمائهم ودماء المعاهدين إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية تعيّن إبطال هذه الشبهة وكشف زيفها ذبًّا عن الحق الذي دعا إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودفاعاً عن دعوة التوحيد ودولته ودعاته.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقد يَكثُر أهل هذه الأهواء في بعض الأمكنة والأزمنة حتى يصير بسبب كثرة كلامهم مكافئًا ـ عند الجهال ـ لكلام أهل العلم والسُّنَّة، حتى يشتبه الأمر على من يتولى أمر هؤلاء، فيُحتاج حينئذٍ إلى من يقوم بإظهار حجة الله وتبيينها)[١].

إذا عُلم هذا؛ فالتحقيق أن نسبة شخصٍ لطائفة من الطوائف أو فِرقة من الفرق لا تصح إلا بموافقته لهم فيما تميزوا به واختُصّوا به من بين سائر الفرق والطوائف، وأما موافقته لهم في أصلٍ مشترك بين الطوائف فلا يُصيّره منسوباً إليهم، ولا محسوباً عليهم.

ومعلومٌ أن الفِرق الإسلامية كلها تنتسب إلى الكتاب والسُّنَّة، وإلى الصحابة، سواءٌ بحق أم بباطل، وهذا أصل مشترك بين الفِرق، ومع هذا

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٣٩).

فانتسابها لهذه الأصول لا يلزم منه اتفاقها في أصولها وعقائدها بمجرد الاشتراك في هذا الأصل، حتى تتوافق فيما تميزت به من الأصول.

يوضحه: أن من وافق الأشاعرة في الترضّي عن الصحابة، والإيمان بفضلهم واعتقاد عدالتهم لا يلزم منه أن يكون أشعرياً، ومثله يُقال فيمن وافقهم في أصل مقالتهم في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، فإن هذه أصول مشتركة بين مجموعة من الفِرق، لم تختص بها فرقة من الفرق، وعليه فلا تصح نسبة شخصٍ إلى الأشاعرة حتى يوافقهم فيما اختصوا به عن باقي الفرق.

ومثل هذا يُقال في كل نِسبة؛ كما لو وافق فقيهٌ أصل الإمام أحمد في الاحتجاج بالحديث الضعيف وتقديمه على القياس، فإن هذا لا يكفي وحده في اعتباره حنبلياً، حتى يوافقه في أصوله التي اختص بها عن غيره من الأئمة.

بناءً على ما سبق، فإن نسبة أي شخص لطائفة من الطوائف أو فِرقة من الفرق أو مذهبٍ من المذاهب لا تصح ولا تُقبل حتى يوافقهم فيما اختصوا به عن غيرهم من الطوائف والفِرق.

على أنه قد يُقال: إن انتساب شخصٍ ما لفرقة من الفرق أو طائفةٍ من الطوائف يكون صحيحاً باعتبار نشأته بينهم وتلقّيه العلم عنهم دون غيرهم، فالجواب: إن هذا وحده غير كافٍ في صحة النسبة حتى يوافقهم في أصولهم، فإنه قد ينشأ بينهم ويتلقى العلم عنهم، ويكون في نفس الوقت مخالفاً لهم في أصولهم وعقائدهم:

إما عن قصدٍ واختيار لاعتقاده خطأهم وعدم صوابهم، بسبب تأثره بكتب غيرهم وأصولهم.

أو عن جهلٍ بعقيدتهم بسبب قصوره العلمي عن فهم أصولهم.

وعلى كل حال، فإن نشأة الإنسان في بيئة معينة، وتلقّيه العلم عن

أهلها يبقى شبهةً يُلبّس بها من يدّعي صحة نسبة هذا الشخص لأصول من نشأ بينهم وعقيدتهم، وينخدع بها من ليس من أهل التحقيق.

أما من لم يوافق طائفة من الطوائف في أصولهم التي تميزوا بها، ولم يشاركهم في النشأة والتلقّي، فلا شك أن نسبته إليهم حينئذٍ باطلة قطعاً.

ومن هذا المنطلق يظهر بطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وذلك من عدة اعتبارات:

الأول: باعتبار النشأة والتلقّي.

الثاني: باعتبار الأصول الفكرية والعقدية.

الثالث: باعتبار الآثار والعواقب.

وهذه الاعتبارات الثلاثة ستكون محاور بحثنا.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تحت كل مبحث مطالب.

المبحث الأول: النشأة والتلقي، وتحته مطلبان:

الأول: نشأة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والثاني: نشأة جماعات الغلو والتكفير.

المبحث الثاني: مباينة أصول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية لأصول جماعات الغلو والتكفير.

وتحته عشرة مطالب.

المبحث الثالث: العواقب والآثار التي تفضي إليها دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ودعوة جماعات الغلو والتكفير.

وتحته ثلاثة مطالب.

ثم الخاتمة والفهرس.

وقد وثَّقت أصول جماعات الغلو والتكفير الفكرية ومناهجهم وعقائدهم من كتبهم ومقالاتهم وبياناتهم المكتوبة والمسموعة والمرئية، كما عرّفت بأشهر رموزهم وشخصياتهم.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

✎ كتبه

فيصل بن قزار الجاسم

الكويت، ٢٧ رجب ١٤٣٧هـ

المبحث الأول

النشأة والتلقّي

من سبر أحوال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعرف كيف كانت نشأته، وعرف منزلة أسرته العلمية التي تربى في أحضانها، وتأمّل رحلاته العلمية، وسبر أحوال شيوخه الذين تلقى عنهم العلم في بلده، وخلال رحلاته إلى مكة والمدينة والأحساء والبصرة وغيرها من البلاد، ثم قارنها بنشأة مؤسسي جماعات الغلو والتكفير، وعرف منابعهم العلمية والفكرية، وسبَرَ أحوالهم، يدرك التباين الكبير بين النشأتين، ويرى الفرق الواضح بين المنبعين الفكريين الذين صاغا أفكار وتوجهات الدعوتين.

فإن التوافق الفكري الذي يحصل بين الأشخاص والطوائف والجماعات لا يكون إلا بالتوافق في أحد أمرين:

إما بالتوافق في عوامل بيئية، أو في منابع فكرية ومعرفية.

فإن الإنسان بطبيعته يتأثر بالمحيط الذي ينشأ فيه، وبالأشخاص الذين يعايشهم ويجتمع بهم ويتربى في أحضانهم، فيتلقّى من خلال المعايشة والنشأة أفكاراً موروثة، واعتقادات مستقرة في قلوب أهلها، فتنطبع هذه الأفكار والعقائد في ذهن الإنسان حتى تصير ثوابت عقدية وفكرية.

والتأثير الأسري والمجتمعي على الإنسان من أكبر الموانع التي حالت دون اتباع الرسل، ومنعت من الإيمان بهم.

قال تعالى عن المشركين المعارضين لدعوة النبي ﷺ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

والإنسان بطبعه يتأثر بصاحبه وجليسه.

قال عليه الصلاة والسلام: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة**»[(١)].

ومن هنا كان انتقاء الأصحاب والحرص على سلامة البيئة التي يعيش فيها الإنسان مهماً، بسبب تأثيرهما المباشر على عقيدة الإنسان وتوجهاته وسلوكه.

قال عليه الصلاة والسلام: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٢)].

وبسبب هذا التأثير على عقيدة الإنسان وفكره شُرعت الهجرة من ديار المشركين إلى ديار الإسلام.

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**»[(٣)].

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، برقم (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، برقم (٦٨٦٠).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يُؤمر أن يجالس برقم (٤٨٣٣)، والترمذي، أبواب الزهد، باب (٥٤)، برقم (٢٣٧٨).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، برقم (٢٦٤٥)، والترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية المقام بين ظهراني المشركين، برقم (١٦٠٤). وقال ابن الأثير في معنى قوله: «تراءى ناراهما»: (أي: يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك، ولا ينزل =

وأما الأمر الثاني الذي يحصل به التوافق الفكري والعقدي فهو التوافق في المنبع الذي يستقي منه الإنسان علمه وفِكره وعقيدته ومنهجه، فإن الرجلين قد يتوافقان على عقيدة ومنهج واحد وإن لم يلتقيا إذا كان مصدرهما واحداً. ومن هنا كان أهل السُّنَّة والجماعة متفقين في العقيدة وإن تناءت بهم الديار؛ لأنهم يستقون عقيدتهم من مصدر ومنهل واحد؛ الكتاب والسُّنَّة وآثار الصحابة، وهذا ما يُعبّر عنه بمصدر التلقّي.

إذا تبيّن هذا، عُرف بعد ذلك أن نسبة جماعات الغلو والتكفير لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب نسبة باطلة، وفرية ظاهرة، وذلك للتباين الكبير بين الطائفتين في النشأة البيئية والفكرية.

وفيما يلي بيان ذلك.

❁ ❁ ❁

= بالموضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله، ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ١٧٧).

المطلب الأول

نشأة الإمام محمد بن عبد الوهاب(١)

دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب نشأت في نجد في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، فقد وُلد الإمام رحمه الله في بلدة «العيينة» من إقليم نجد سنة ١١١٥هـ، وترعرع في بيئة علمية، فإن والده وجده كانا من فقهاء الحنابلة، وكان والده قاضي البلدة، وأما جدّه فقد اشتهر بالعلم حتى لُقّب بمفتي الديار النجدية، وقد تلقّى العلم في أول حياته عن والده وعلماء قريته وكانت من حواضر نجد.

(١) انظر: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لحسين بن غنام الإحسائي، و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره» لعبد الله العثيمين، و«عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على الواقع الإسلامي» لصالح العبود، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» لعبد الله البسام، و«تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» لسليمان بن سحمان، و«سيرة محمد بن عبد الوهاب» لعبد العزيز بن باز، و«محمد بن عبد الوهاب» لأحمد بن عبد الغفور عطار، و«داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب» لعبد العزيز سيّد الأهل، و«سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب» لأمين سعيد، و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، و«الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ» لعبد الله بن سعد الرويشد، و«دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد» لعبد العزيز العبد اللطيف، و«الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته» للدكتور عبد الله يوسف الشبل، و«محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه» لمسعود الندوي، و«دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية» لأحمد بن عبد العزيز الحصين، و«انتشار دعوة محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» لمحمد كمال جمعة، و«لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف، و«تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمٰن الفيصل وعهد الملك عبد العزيز» لأمين سعيد، و«تاريخ نجد الحديث وملحقاته» لأمين الريحاني، «تاريخ نجد» لمحمود شكري الألوسي، و«الوهابيون والحجاز» لمحمد رشيد رضا، و«تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لإبراهيم بن عيسى، وغيرها كثير.

وقد برع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغره في عامة الفنون، وكان له فطنة وذكاء، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وبرع في العلوم وظهرت عليه آثار النجابة، ورحل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلب العلم، إلى مكة والمدينة والأحساء والبصرة، والتقى بكثير من العلماء، وتتلمذ على كثير منهم.

ومن أكثر رحلاته فائدة رحلته إلى المدينة النبوية، فإنه التقى هناك بعالمين جليلين: عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ومحمد حياة السندي ـ رحمهما الله ـ، فلازمهما مدة مقامه في المدينة، وكان عبد الله بن سيف متأثراً بشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومحباً له، وكذلك الحال مع محمد حياة السندي فإنه كان من أعلام المحدثين، وقد اشتهر بالدعوة إلى تعظيم الدليل وذمّ التعصب، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع.

ثم رحل إلى البصرة، ومكث هناك أكثر من سنتين، التقى بكثير من العلماء، منهم: الشيخ محمد المجموعي، وقاضي البصرة شهاب الدين الموصلي، وقد درس هناك علم الفقه والحديث واللغة.

وتوجه بعد ذلك إلى نجدٍ مارًا بالأحساء، ونزل عند الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما التقى بعلماء الأحساء، منهم: عبد الله بن محمد بن فيروز، وهو ابن عمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ ما سُرّ به، وقد أثنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه بمعرفته لعقيدة الإمام أحمد.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام محمد بن عبد الوهاب: (عُرِف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كما ذكره صاحب «التاريخ» الشيخ حسين بن غنام الأحسائي، وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيهما، وأجازه بعضهم ورحل إلى البصرة،

وسمع وناظر، وإلى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها، وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء، وعُرف به على صغر سنّه»[(١)].

وبهذا يتبين أنّ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأ نشأة علمية، وتلقّى العلم على أيدي علماء مشهورين بالعلم والفقه، ورحل في طلب العلم كثيراً، وقد تأثر كثيراً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ وكان له عناية خاصة بعلومهما.

فنشأته كانت نشأة علمية، وأما المصادر التي تلقّي منها علومه، وصاغت فكره وعقيدته، وعليها قامت دعوته؛ فمصدران:

الأول: الأخذ والتلقّي عن الشيوخ والعلماء.

الثاني: كُتب العلم وآثار الأئمة المتقدمين، ولا سيما ابن تيمية وابن القيم رحمها الله.



(١) «مصباح الظلام» (ص٤٩).

المطلب الثاني

نشأة جماعات الغلو والتكفير

من سبَرَ أحوال مؤسسي الجماعات والتنظيمات التي اشتهرت بالغلو والتطرّف والتكفير في عصرنا وعرف نشأة منظريها، يُدرك تماماً السبب الأكبر لتطرفهم وغلوهم وهو أنهم لم ينشؤوا نشأة علمية، فإنه لم يُعرف عن أحدٍ منهم تلقي العلم عن العلماء في حلقات العلم فضلاً عن ملازمتهم، ولا من خلال الالتحاق بالمؤسسات العلمية كالجامعات والكليات الشرعية على ما هو معروف من طرق تلقي العلم قديماً وحديثاً، ولكنهم استقوا فكرهم وتطرفهم من كتبٍ حوت انحرافات عقدية ومنهجية وفكرية اتسمت بالغلو والتطرف.

فالمحيط الذي نشأوا فيه لم يكن محيطاً علمياً؛ بل محيطاً حزبياً متسماً بالغلو والتطرف والانحراف في فهم الإسلام، والجهل بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، والإغراق في التفسير السياسي للإسلام.

وسأحاول أن أبيّن هذا الأمر بذكر نشأة أشهر جماعات الغلو والتكفير المعاصرة من خلال الفروع التالية.

الفرع الأول

أول بوادر فكر الغلو والتكفير

إن أول بوادر الغلو والتطرف الفكري في هذا العصر، وهو الفكر الذي يقوم على تكفير المجتمعات الإسلامية، ومصارعة الحكومات والأنظمة بدعوى ردّتها ومروقها من الدين، قد ظهر على الأخص من شخصيتين رئيسيتين:

الشخصية الأولى: أبو الأعلى المودودي في الهند.

والشخصية الثانية: سيد قطب في مصر.

ومن أفكار هذين الرجلين انطلقت أوّل بوادر الغلو والتكفير، وعن أفكارهما تكونت أوّل التنظيمات الجهادية التكفيرية.

وكان منشأ الزلل في فكر هذين الرجلين نابعاً من الخلل عندهما في مفهوم التوحيد الذي جاء الأنبياء بالدعوة إليه، وهو توحيد العبادة وإفراد الله تعالى بجميع أنواعها، فإنهما لم يفهما التوحيد على حقيقته؛ بل حصراه في «الحاكمية»، ويعنيان بالحاكمية: تحكيم الشريعة، بمعنى القوانين والحدود، ولذلك ابتدعا نوعاً جديداً للتوحيد أطلقا عليه: «توحيد الحاكمية»، وكانا يُفسِّران «الإله» بالحاكم، ويجعلان الحُكْمَ أخصَّ صفات الرب؛ بل أخصّ خصائص الألوهية.

وقد تفرَّع عن هذا الخلل في فهم التوحيد وتصوره: تكفيرُ المجتمعات، وعدمُ الاعتراف بولاية حكام المسلمين، وعدم اعتبارهم أئمةً يجب لهم السمع والطاعة، ومن هنا نشأت فكرة تكوين جماعات الغلو والتكفير لتكون سبيلاً مُمهِّداً لإقامة الخلافة الراشدة، والإطاحة بحكومات الردّة ـ حسب زعمهم ـ.

قال أبو الأعلى المودودي، والذي يُعدّ من أكبر منظري هذا الفكر: (فخلاصة القول أن أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة)[(١)].

ويعني بالسلطة: الحكم الجزائي، فتوحيد الألوهية في مفهومه هو توحيد الحكم.

وقال أيضاً بعدما سَرَد بعض الآيات: (جميع هذه الآيات من أولها إلى آخرها لا تجد إلا فكرة رئيسية واحدة؛ ألا وهي أن كلّاً من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى، وأنه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح)[(٢)].

---

(١) «المصطلحات الأربعة في القرآن» (ص٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص٢٨).

وقال: (إن القرآن يجعل «الربوبية» مترادفة مع الحاكمية والملكية)[١].

وقد تأثر سيد قطب بأفكار المودودي، حتى آل به الأمر إلى تكفير المجتمعات ووصفها بالجاهلية.

قال أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد أُعجب الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب الشهيد ـ وهو صديق المؤلف: يعني المودودي ـ إعجاباً شديداً بكتاب الأستاذ المودودي «المصطلحات الأربعة في القرآن» ووافقه كل الموافقة في الآراء والأفكار التي يتضمنها، وقد جعل الحاكمية أخصَّ خصائص الإلهية)[٢].

وقال سيد قطب: (الإسلام بمعناه اللغوي: الاستسلام، وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان: الإسلام لله، والتجرد عن ادعاء الألوهية معه، وادعاء أخصّ خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، وحق تطويع العباد وتعبيدهم بالشريعة والقانون)[٣].

وقال في موضع آخر: (إن أخصَّ خصائص الألوهية ـ كما أسلفنا ـ هي الحاكمية)[٤].

وعلى ضوء ذلك حَكَمَ سيد قطب على المجتمعات الإسلامية والحكومات بالردّة والكفر على اعتبار تحكيمها لبعض القوانين الوضعية، وصرّح بذلك في أكثر من موضع من كتبه.

من ذلك قوله: (لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إلٰه إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إلٰه إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على

(١) المصدر السابق (ص٩٣).
(٢) «التفسير السياسي للإسلام» (ص٦٨).
(٣) «في ظلال القرآن» (٢/ ٨٢٨).
(٤) الموضع السابق (٢/ ٨٩٠).

المآذن: «لا إلٰه إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعيها العباد لأنفسهم ـ وهي مرادف الألوهية ـ سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب. فالأفراد كالتشكيلات؛ كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية، إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إلٰه إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء.

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: «لا إلٰه إلا الله» بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثما وأشد عذاباً يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد ـ من بعد ما تبين لهم الهدى ـ ومن بعد أن كانوا في دين الله!)[(١)].

وقال في موضع آخر من كتبه: (إن الناس ليسوا مسلمين كما يدّعون، وهم يحيون حياة الجاهلية، وإذا كان فيهم من يريد أن يخدع نفسه، أو يخدع الآخرين، فيعتقد أن الإسلام ممكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية، فله ذلك، ولكن انخداعه أو خداعه لا يغير من حقيقة الواقع شيئاً، ليس هذا إسلاماً وليس هؤلاء مسلمين)[(٢)].

ويقول نافياً الإسلام عن كل المجتمعات، وناصحاً الحركات الإسلامية بالتعامل على أساس كُفرِ كلّ المجتمعات: (حركات البعث الإسلامي اليوم في مفترق طرق، ونقطة البدء الصحيحة في الطريق الصحيح هي أن تتبين الشرط الأساسي لوجود الإسلام أو عدم وجوده، وأن تستيقن أن وجود الإسلام اليوم قد توقف، وأن تعلم أنها تستهدف إعادة إنشاء الإسلام من جديد، أو بتعبير أدق رده مرة أخرى إلى حالة الوجود بعد أن توقف هذا الوجود فترة. والطريق الآخر أن تظن هذه

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٧٥).
(٢) «معالم في الطريق» (ص١٥٨).

الحركات ـ لحظة واحدة ـ أن الإسلام قائم، وأن هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام ويتسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون)[١].

وكل من تأمل ما كتبه المودودي وسيد قطب ومن سار على طريقهما، انطبعت عنده هذه الفكرة الناشئة عن الخلل في فهم التوحيد، وصار فكره محصوراً في الحاكمية، بمعنى تحكيم القوانين، والنظام السياسي الإسلامي.

قال أبو الحسن الندوي: (ويبدو أن الأستاذ المودودي لا يعنيه إلا الدعوة إلى الطاعة السياسية لأحد، والخضوع لسلطانه، والإذعان لحاكميته، وردّ حق التشريع إليه، وعلى ذلك تتركز جهوده الكتابية، ومحاولاته القلمية، ومن يقصُر مطالعته على هذه المقالات والكتابات وحدها، ويعيش فيها، ويتنفس في جوها، ويتغذى بها عقلياً وفكرياً، تتأكد في نفسه أولوية الإشراك في الحكم وأهميته طبيعياً، وتتضاءل عنده شناعة الإشراك في العبادة)[٢].

ومعلوم أن أبا الأعلى المودودي (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) كان قد تأثر بحركة الخلافة التي قامت في الهند في الفترة ما بين ١٩١٩ ـ ١٩٢٤م، والتي أسسها الأَخَوان: محمد علي، وشوكت علي، دعماً للخليفة العثماني، ثم قام بتأسيس «الجماعة الإسلامية» في لاهور سنة ١٩٤٢م، والتي كانت تحمل نفس فكر جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في مصر سنة ١٩٢٨م.

ولذلك جاء في موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمون في الشبكة العنكبوتية ما نصه: (إن جماعة الإخوان المسلمين تعمل على عودة الإسلام بشكله الصحيح، وتساعد كل من يعمل في هذا الإطار، وفي

(١) «العدالة الاجتماعية» (ص٢١٦).
(٢) «التفسير السياسي للإسلام» (ص٨٥).

ذلك التوقيت خاصة في أوائل الأربعينيات كان الأستاذ أبو الأعلى المودودي أنشأ الجماعة الإسلامية في باكستان، فنَظَر الإخوان إليها فوجدوا مبادئها وأهدافها وقانونها يتشابه مع أهداف ومبادئ الإخوان المسلمين، فعملوا على مساعدتها والتعاون فيما بينهما...

ومنذ نشأة الجماعة الإسلامية وهي متعاونة مع جماعة الإخوان المسلمين كفكر مشترك وأهداف واحدة غير أن المسميات مختلفة)[(١)].

أما سيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م) فقد كان متأثراً بعباس العقاد في أول حياته، وانضم بسبب ذلك إلى حزب الوفد المصري، وهو حزب سياسي أسسه سعد زغلول سنة ١٩١٨م، ولم يكن لسيد قطب توجهات إسلامية حينها؛ بل نشأ في أول حياته في بيئة اشتراكية سياسية أدبية، ثم بسبب خلاف وقع بينه وبين حزب الوفد سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ترك الحزب. وفي سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وبقي معهم إلى أن أعدم بسبب محاولته قلب الحكم سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

وكان أول التحول الفكري لدى سيد قطب والذي كان مغايراً لخط الجماعة الأم جماعة الإخوان المسلمين بدأ في السجن، وذلك أنه أودع في السجن سنة ١٩٥٤م مع مجموعة من جماعة الإخوان المسلمين بتهمة السعي إلى قلب نظام الحكم، وفي السجن كتب أهم كتبه الفكرية، ثم أفرج عنه بعد ذلك في سنة ١٩٦٤م.

قال محمد خليل الحكايمة[(٢)]: (كان فكر سيد رَحِمَهُ اللَّهُ نقلة نوعية في

(١) www.ikhwanwiki.com

(٢) محمد خليل الحكايمة، ولد سنة ١٩٦١م، وانضم إلى تنظيم «الجماعة الإسلامية» بمصر، واعتقل إثر اغتيال السادات سنة ١٩٨١م، ثم أطلق سراحه بعد ذلك لعدم ثبوت مشاركته في عملية الاغتيال، ثم كرر اعتقاله عدة مرات، وكان من مؤسسي فرع «الجماعة الإسلامية» في محافظة أسوان، وأحد أعضاء مجلس الشورى التابع لها في =

المسار الفكري للصحوة الإسلامية عموماً والإخوان المسلمين خصوصاً، وكان على الحركة الأم كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الأطروحات. ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفاً رافضاً، فقد كانت نظرياته في الحاكمية والولاء والبراء، والمفاصلة مع الجاهلية والتمايز في الهوية والمنهج مفرقاً هاماً كان على الإخوان أن يقرروا السير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتى عن ثوابت أساسية كان عليها المنهج عندهم. واختار الإخوان الطريق الثاني...

وهنا افترقت حركة الإخوان المسلمين والصحوة السياسية المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين، فجسّد كتاب «المعالم» وفكر سيّد عموماً، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها، ورَسَم معالم طريق هذا الجهاد)[١].

وقال يوسف القرضاوي: (في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والسخرية بفكرة تجديد

= المحافظة. التحق بأفغانستان في منتصف الثمانينات، وشارك هناك في تأسيس اللجنة الإعلامية للجماعة الإسلامية، وكان له دور إعلامي بارز لأنشطة الجماعة الإسلامية. وفي سنة ٢٠٠٠م سافر إلى بريطانيا، ثم انتقل إلى أفغانستان للالتحاق بطالبان لقتال القوات الأمريكية سنة ٢٠٠١م، فر بعدها إلى إيران مع من فرّ من أعضاء تنظيم القاعدة، وتولى قسم الإذاعة العربية في إذاعة طهران، ولما أصدر قيادات تنظيم «الجماعة الإسلامية» المراجعات الفكرية، كوّن مجموعة عُرفت بـ«الثابتون على العهد» رفضاً لتلك المراجعات. وفي سنة ٢٠٠٧م أعلن مبايعته لتنظيم القاعدة رسميّاً، وفي سنة ٢٠٠٨م قُتل بغارة جوية أمريكية. له عدة رسائل، من أهمها: «تاريخ الحركات الجهادية في مصر»، و«أسطورة الوهم».

(١) «تاريخ الحركات الجهادية في مصر» (ص٦).

الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعوإلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية. يتجلى ذلك أوضح مايكون في تفسير الشهيد «في ظلال القرآن» في طبعته الثانية، وفي «معالم في الطريق» ومعظمه مقتبس من «الظلال»، وفي «الإسلام ومشكلات الحضارة» وغيرها... كما ظهرت كتب المدعو له بالرحمة والمغفرة الشيخ سعيد حوّى، وهي تتبنى نفس التفكير، وتسير في هذا الخط ذاته)[(١)].

كوَّن سيد قطب بعد خروجه من السجن ما يُعرف بتنظيم ٦٥، وهو تنظيم يهدف إلى تطبيق النظرية الفكرية التي قامت على تكفير المجتمعات والإيمان بضرورة السعي في جهاد الأنظمة وإقامة حكم الإسلام.

قال محمد خليل الحكايمة: (وقد حاول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهادي سرّي يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشباب المجاهد الذي كان معظمهم أعضاء في الإخوان المسلمين، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعدم بتهمتها رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[(٢)].

الفرع الثاني

تنظيم «الجهاد» بمصر

على أفكار هذين الرجلين: المودودي وسيد قطب نشأت حركات الغلو والتطرف، فكان أول تنظيم نشأ بعد التنظيم السرّي الذي أسسه سيد

---

(١) «أولويات الحركة الإسلامية» (ص١١٠).

(٢) «تاريخ الحركات الجهادية في مصر» (ص٧).

قطب وأعدم بسببه، هو تنظيم «الجهاد» المصري الذي أسسه أيمن الظواهري[١] وسيد إمام، وهما طبيبان في الطب البشري، وذلك سنة ١٩٦٨م، وهو أول التنظيمات الجهادية المعاصرة.

وقد ذكر الطبيب سيد إمام[٢]، وهو من أكبر منظري الفكر التكفيري

(١) أيمن محمد ربيع الظواهري، ولد سنة ١٩٥١م، وهو طبيب جراح من أسرة غنية، وكان قد اعتقل في أول عمره لانضمامه لجماعة الإخوان المسلمين، وتأثر بفكر سيد قطب، فأسس بعد إعدامه تنظيم «الجهاد» المصري لمواصلة الأفكار والمبادئ التي أسسها سيد قطب، وجرت على يد تنظيم «الجهاد» بعض الأعمال الإجرامية، ثم تحالف مع تنظيم «الجماعة الإسلامية»، وسُجن بعد اغتيال أنور السادات سنة ١٩٨١م، ثم أخرج من السجن بعد ثلاث سنين، بعدها توجه إلى باكستان ثم أفغانستان، والتقى بأسامة بن لادن هناك، وكان له دور في التوجه الفكري الجديد لابن لادن، وبعد قيام حكومة رباني في أفغانستان سنة ١٩٩٣م غادر إلى السودان مع ابن لادن، ثم رجع إلى أفغانستان بعد سيطرة طالبان على الحكم سنة ١٩٩٦م، واعتُقل في داغستان سنة ١٩٩٦م ثم أطلق سراحه بفدية كبيرة، وفي يونيو ٢٠٠١م بايع تنظيم القاعدة، وصار نائباً لابن لادن، وبعد الغزو الأمريكي لأفغانستان سنة ٢٠٠١م، بقي متخفياً مع ابن لادن، ثم تولى زعامة تنظيم القاعدة بعد مقتل ابن لادن سنة ٢٠١١م. من أهم رسائله: «فرسان تحت راية النبي ﷺ»، و«الحصاد المر: الإخوان المسلمون في ستين عاماً»، و«التبرئة».

(٢) اسمه الحقيقي: سيد إمام عبد العزيز سيد الشريف، ولد سنة ١٩٥٠م، وهو طبيب جراح، ويُعدّ من أكبر وأهم منظّري الفكر التكفيري الجهادي المعاصر، ومن أكثرهم تأثيراً من الناحية الشرعية والفكرية، وكان من مؤسسي تنظيم «الجهاد» المصري سنة ١٩٦٨م، مع رفيق دربه أيمن الظواهري، وله كتب فكرية تُعدّ المرجع الرئيس للفكر الجهادي المعاصر، من أهمها: «العمدة في إعداد العدة»، و«الجامع في طلب العلم الشريف»، وساهم بشكل كبير في صياغة الأفكار الجهادية التكفيرية في أفغانستان، وتتلمذ عليه أكثر منظري الفكر الجهادي التكفيري، وتنقل بين مصر وأفغانستان والسودان واليمن، واختلف مع صاحبه أيمن الظواهري وتنظيم القاعدة في السودان ١٩٩٣م، ثم كتب كتابه الكبير «الجامع في طلب العلم الشريف» انتقد فيه كثيراً من الحركات والرموز الجهادية، وكان قد سُجن في اليمن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، ثم رُحّل إلى سجون مصر، وكتب في السجن سنة ٢٠٠٧م ما يُعرف بـ«وثيقة ترشيد العمل الجهادي» والتي قابلها الظواهري بالطعن في كاتبها، والردّ عليه برسالة «التبرئة»، ثم قام سيد بالردّ على الظواهري بكتاب «التعرية لكتاب =

الجهادي، عن رفيق دربه الطبيب أيمن الظواهري تأثره الشديد بسيد قطب، فقال: (وأحب أن ألفت نظر القارئ إلى أن الظواهري متأثر بكلام سيد قطب... فقد توقف نموه الفكري عند مرحلة كلام سيد قطب منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولم يرتق إلى مرحلة النضج الفقهي)[(١)].

وقال الحكايمة: (إن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري)[(٢)].

كما ذكر أبو مصعب السوري[(٣)] أيضاً أنه سمع من أيمن الظواهري

= التبرئة»، وبعد ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م أخرج من السجن.

(١) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الحادية عشرة بتاريخ ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٨م

(٢) تاريخ الحركات الجهادية في مصر (ص٨).

(٣) اسمه مصطفى عبد القادر الرفاعي، وهو سوري ولد في حلب سنة ١٩٥٨م، وتخرج في كلية الهندسة الميكانيكية فيها، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، ثم التحق بتنظيم «الطليعة المقاتلة» الذي أسسه مروان حديد والذي كان متأثراً بأفكار سيد قطب، حيث درس في مصر والتقى بقطب، ثم عاد إلى سوريا فأسس تنظيم «الطليعة المقاتلة»، وكان أبو مصعب السوري قد تلقى عدة تدريبات عسكرية على يد القوات العراقية إبان أحداث حماة في سوريا، وبعد أحداث حماة انتقل إلى أفغانستان والتحق بعبد الله عزام، وتعرف على سيد إمام وتأثر به، واستفاد منه في تأصيل الفكر الجهادي التكفيري، وكان لأبي مصعب دور قوي في بث الأفكار التكفيرية الجهادية في أفغانستان. وبعد قيام حكومة رباني في أفغانستان سنة ١٩٩٢م سافر إلى بريطانيا، وشارك في تأسيس «الجماعة الإسلامية المسلحة» في الجزائر، وأسس في لندن «مركز دراسات صراعات العالم الإسلامي»، وقد أصدر عدة مقالات ونشرات فكرية وعسكرية، وكان مهتماً بدراسة تاريخ الحركات الجهادية. وبعد قيام حكومة طالبان ١٩٩٦م سافر إلى أفغانستان وبايع الملا محمد عمر زعيم طالبان، ثم انضم إلى تنظيم القاعدة. اعتقلته القوات الأمريكية سنة ٢٠٠٥م، ورحّلته إلى سوريا، ولا يُعلم له خبر حتى هذه الساعة. وأبو مصعب يُعد من أبرز منظري الفكر التكفيري الجهادي المعاصر، له العديد من الكتب والرسائل، من أهمها «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» وهو كتاب ضخم يُنظّر فيه لفكر واستراتيجية تنظيم «القاعدة» الجديدة.

في بعض تسجيلاته، وفي بعض الجلسات المباشرة معه تأثره الشديد بسيد قطب، وذكر عنه قوله: بأن تنظيم الجهاد المصري إنما أنشأه أيمن الظواهري مع بعض تلاميذ سيد قطب الذين واصلوا العمل السري بعد إعدامه[١].

الفرع الثالث

تنظيم «الجماعة الإسلامية» بمصر[٢]

تنظيم «الجماعة الإسلامية» بمصر لا يختلف من حيث المبادئ والأفكار عن تنظيم الجهاد المصري، وقد تأسست الجماعة سنة ١٩٧٥م في صعيد مصر، وحملت مبادئ الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم رَفَعت السلاح على المسلمين، وقامت بأحداث كثيرة من التخريب والاغتيالات وقتل السياح، باسم الجهاد.

وكان من مؤسسي الجماعة: كرم زهدي وأسامة حافظ وصلاح هاشم وعلاء عبد الكريم وغيرهم، ولم يكن أحد منهم معروفاً بالعلم الشرعي.

وفي عام ١٩٨١م قامت «الجماعة الإسلامية» باغتيال الرئيس المصري أنور السادات في منصة العرض، وكان ذلك بالتعاون مع تنظيم «الجهاد»، وبعد اغتيال السادات زُج كثير من أفراد الجماعة وقيادييهم في السجن، وتخفى آخرون ثم توجهوا إلى أفغانستان، ومنهم من هرب إلى إيران، فإن «الجماعة الإسلامية» كانت مؤيدة للثورة الخمينية، وتربطها بها علاقة جيدة.

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧٣٧).

(٢) انظر: «تاريخ الحركات الجهادية في مصر» لمحمد خليل الحكايمة، و«فرسان تحت راية النبي ﷺ» لأيمن الظواهري، و«دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» لأبي مصعب السوري.

وفي عام ١٩٩٧م أطلق قادة «الجماعة الإسلامية» من السجن مبادرة للحكومة المصرية، تُعرف بـ«مبادرة وقف العنف ضد الحكومة المصرية»، وكانت من طرف واحد، ولم تستجب لها الحكومة المصرية حينها، ثم في أواسط ٢٠٠٣ أعلنت الحكومة المصرية تجاوبها الجزئي مع المبادرة، وبدأت بإطلاق دفعات من قيادات الجماعة التاريخية من السجن، منهم كرم زهدي.

ثم أصدرت الجماعة عدة رسائل في المراجعات الفكرية، أعلنت فيها تراجعها عن منهجها واعترافها بأخطائها السابقة، ومن ذلك عملية اغتيال السادات.

الفرع الرابع

تنظيم «الجماعة السلفية المحتسبة» (حركة جهيمان)(١)

تأسست هذه الجماعة على يد بعض الناشطين في الدعوة في المدينة النبوية، محاولين تنسيق الجهود والأعمال الدعوية وتكثيف الجهود فيها، فاجتمعوا على تأسيس جماعة دعوية تحت مسمى «الجماعة السلفية» وكانوا ستة أشخاص، خمسة منهم من جماعة التبليغ منهم جهيمان العتيبي وواحد من جماعة الإخوان المسلمين.

جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي يُعدّ أبرز المؤسسين لهذه الجماعة، وكان أشبه بالأمي لأنه درس في المدرسة حتى الرابع الابتدائي، ولم يكن قادراً على القراءة والكتابة بشكل جيد، وكان والده من نشطاء حركة «إخوان من طاع الله» في نجد والمشهورين بـ"الإخوان»،

(١) انظر: «جريمة العصر احتلال الحرم» د. عبد العظيم المطعني، و«أيام مع جهيمان» ناصر الحزيمي، و«حتى لا يعود جهيمان» لستيفان لاكورا وتوماس هيغهامر، «قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام» إصدار مركز المسبار.

وقد شارك في كثير من غزوات الإخوان مع زعيمهم سلطان بن بجاد، وهو ممن ثار على الملك عبد العزيز وشارك في معركة «السبلة» سنة ١٩٢٩م بجانب الإخوان لكنه نجا من القتل، وكان جهيمان فخوراً بوالده معظماً للإخوان، وكثيراً ما يتكلم عن هذه الأحداث مع أصحابه، وكان في نفسه شيء على الدولة لما فعلته في «الإخوان».

وكان جهيمان يعمل سائقاً لشاحنة ماء في الحرس الوطني منذ ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، إلى أن ترك الحرس سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

وقد التحق بدار الحديث بالمدينة، ولم يكمل إلا فصلاً واحداً ثم ترك الدار ساخطاً على المناهج وأسلوب التدريس، ولم يُعرف بملازمة المشايخ والعلماء لطلب العلم.

بدأ أفراد الجماعة بإظهار نقد المشايخ والعلماء، ثم تسلل إليهم فكر التكفير عن طريق بعض أعضاء جماعة التكفير والهجرة التي أسسها شكري مصطفى في مصر.

إلى أن انتهى بهم الحال إلى هجر المساجد، والصلاة في البيت الذي كانوا يجتمعون فيه، ويُعرف ببيت «الإخوان».

وفي الأول من محرم ١٤٠٠هـ/ ٢١ نوفمبر ١٩٧٩م، اقتحمت الجماعة المسجد الحرام وأعلنوا مبايعة المهدي المزعوم بين الركن والمقام، ثم أخمدت فتنتهم بعد أسبوعين من الاقتحام.

الفرع الخامس

تنظيم «القاعدة»(١)

تنظيم «القاعدة» نشأ في أحضان المعسكرات في أفغانستان، فإن

(١) انظر: «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» لأبي مصعب السوري، و«التبرئة» و«فرسان تحت راية النبي ﷺ» لأيمن الظواهري، و«التعرية لكتاب التبرئة» و«مستقبل الصراع في أفغانستان» لسيد إمام، و«القاعدة التنظيم السري» لعبد الباري عطوان، «داعش نهاية =

الغزو السوفييتي لأفغانستان دفع كثيراً من الأفغان إلى رفع السلاح ومجاهدة المحتل، مما هيأ أرضاً خصبة للجماعات الجهادية التكفيرية إلى الهجرة إلى أفغانستان للمشاركة في جهاد الاتحاد السوفييتي آنذاك، واتخاذها ملجأً آمناً من تضييق الحكومات.

قال أبو مصعب السوري في ذكر أسباب قدوم الجهاديين إلى أفغانستان: (كان هدفهم أمرين استراتيجيين اثنين: . . .

أما الهدف الأول لمعظم الكيانات والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد والتدريب، وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التنظيم، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على تفكير معظم التنظيمات الجهادية العربية ـ أو كلها ـ، وسواها من الأعجمية، وهو: إسقاط حكومات الردّة القائمة في بلادها كلٌّ بحسبه، وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله.

الهدف الثاني: (العمل على تحرير أفغانستان وإقامة حكومات إسلامية شرعية فيها)[1].

ولذلك اجتمعت عامة جماعات الغلو والتكفير في أرض أفغانستان، وبدأ تاريخ الجهاد العربي في أفغانستان عملياً منذ سنة ١٩٨٤م بتفرغ عبد الله عزام، وكان من الإخوان المسلمين الفلسطينيين، كلياً للجهاد الأفغاني ميدانياً، وكان قد رحل من الأردن نتيجة مضايقات الحكومة له في عمّان، فقام بتأسيس «مكتب الخدمات» الذي تولى تقديم ونقل المعلومات والتبرعات للمقاتلين والمهاجرين الأفغان.

= العالم» لسانتس مارتنس، «الرايات السود صعود داعش» لجوبي واريك، «القاعدة، الدولة الإسلامية، حركة الجهاد العالمي» لدانييل بايمان، «المنفى» لكاثي سكوت كلارك وأدريان ليفي.

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧٠٧).

كان لعبد الله عزام أثر كبير في الدعاية للقضية الأفغانية، والتأثير على الشباب لاستقطابهم وإقناعهم بأهمية القدوم إلى أفغانستان والمشاركة في قتال السوفييت. وقد أسس لهذا الهدف مجلة الجهاد التي كانت منبره الرئيسي للدعاية للجهاد الأفغاني، كما أنه قام برحلات كثيرة إلى البلاد العربية للتعريف بالجهاد الأفغاني والتشجيع على دعمه مادياً وجسدياً، وكتب رسائل متعددة أظهرت أثرًا بارزاً في الدعاية للجهاد الأفغاني، منها: «آيات الرحمٰن في جهاد الأفغان»، و«الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان».

وفي نهاية عام ١٩٨٥م أو مطلع ١٩٨٦م حضر أسامة بن لادن إلى أفغانستان ليشارك ميدانياً بعد أن كانت زياراته السابقة لأجل الدعم المالي.

وأسامة بن لادن كان منتمياً لجماعة الإخوان المسلمين في السعودية.

قال أيمن الظواهري في تسجيل مصور له: (كان ـ أي: أسامة بن لادن ـ عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، والتنظيم هو الذي أرسله إلى باكستان عندما وقع الغزو السوفييتي في مهمة محددة، وهي توصيل الدعم للجماعة الإسلامية الموجودة هناك، وكانت تعليمات التنظيم إليه أن لا يدخل أفغانستان، ولكنّ أسامة خالف الأوامر)[(١)].

ولم يكن أسامة بن لادن في بداية أمره يحمل أفكاراً تكفيرية، كما لم يكن معروفاً بالعداء للدولة السعودية ولا للحكومات الإسلامية؛ بل كان على فكر الإخوان المسلمين العام، وهكذا كان الحال في عامة السعوديين والخليجيين الذين قدموا أفغانستان في تلك الفترة.

(١) منشور في موقع اليوتيوب بتاريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠١٢، بعنوان: (الظواهري: ابن لادن كان إخوانياً ولكن الجماعة طردته).

قال أبو مصعب السوري عن أسامة بن لادن: (حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في السعودية، وهي مزيج فكر الإخوان المسلمين والسرورية ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين، وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة.

وكان هو ـ أي أسامة بن لادن ـ وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون، على فسقهم ومظالمهم، ويُكنّون احتراماً شديداً للعلماء الرسميين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم)[(١)].

وعمل ابن لادن في أول أمره مع عبد الله عزام في مكتب الخدمات، ثم بدا له أن يستقل عنه فأنشأ «القاعدة» مطلع سنة ١٩٨٨م بعد ازدياد وفود العرب القادمين إلى أفغانستان لا سيما من السعودية واليمن، وكان اسمها في أول الأمر «المأسدة»، ثم غُيرت إلى «قاعدة الأنصار العرب»، والتي اصطلح عليها باسم «القاعدة»، وبعد بيعة الظواهري لابن لادن سنة ٢٠٠١م أطلق عليها اسم «قاعدة الجهاد»[(٢)]، جمعاً بين اسم «القاعدة» واسم تنظيم «الجهاد».

وقد ذكر سيد إمام، وكان معاصراً لتلك الفترة، أن ابن لادن أسّس «القاعدة» انشقاقاً عن عبد الله عزام، فقال: (بقي أن يعلم الناس أن «القاعدة» ما نشأت إلا كانشقاق عن الشيخ عبد الله عزام)[(٣)].

وقد كانت «القاعدة» في بدايتها تمثل مكتب خدمات موازياً لمكتب

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٢).

(٢) «مستقبل الصراع في أفغانستان» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الأولى بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٠م.

(٣) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة التاسعة بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

الخدمات الذي يديره عبد الله عزام، ثم تحولت إلى تنظيم في سنة ١٩٨٩م، فطلب ابن لادن من الناس البيعة له لينشئ جهاداً ضد الشيوعية في اليمن الجنوبي.

وقد بُنيت «القاعدة» على كوادر جماعتي «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية»، وساهم تمكين هاتين الجماعتين من «القاعدة» في صياغة فكر ابن لادن الجديد، حتى حَمَل الأصول الفكرية التي يقوم عليها تنظيماً «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية».

قال سيد إمام: (كان ابن لادن يتردد على الساحة بين الحين والآخر قادماً من السعودية، وترك إدارة شؤون «القاعدة» لأفراد جماعة «الجهاد» المصرية؛ أبو عبيدة البنشيري وأبو حفص المصري، قاموا بإنشاء المعسكرات ووضع برامج التدريب وتنفيذها، أما التوجيه الشرعي بالمعسكرات فقد سلّمه ابن لادن لأصحابه من الإخوان المسلمين، ومنهم: أبو هاجر العراقي، وأبو إبراهيم العراقي، ثم أبو حفص الموريتاني)[١].

وقال أبو مصعب السوري: (إن الشيخ أسامة قد بنى «القاعدة» على جهود كوادر من تنظيم «الجهاد» المصري أساساً، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى، ولم يكن معظمهم أعضاء في «القاعدة»، وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع، فقام هؤلاء الجهاديون ـ وكنت من بينهم فترة ـ ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية، وغيرها من الأمور السياسية الشرعية وفقه الواقع في تلك المعسكرات، حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء

(١) «مستقبل الصراع في أفغانستان» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الأولى بتاريخ ٢٥/١/٢٠١٠م.

السعوديين، فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة «القاعدة» الشبابية، ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت)[(١)].

وقال أيضاً وهو يتحدث عن الساحة الأفغانية: (كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم «الجهاد» المصري بارزاً ونوعياً في الساحة العربية، وكذلك كان حضور «الجماعة الإسلامية» بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة بين الجماعتين، إلا أنهما لعبتا ـ ولا سيما القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية ـ دوراً مؤثراً)[(٢)].

ومن الأمور التي ساهمت في نشر الفكر التكفيري الجهادي في أفغانستان وجود سيد إمام في تلك الفترة، وكان وقتها محسوباً على تنظيم «الجهاد» المصري، فقد كان له أثرٌ بارزٌ في ترسيخ المبادئ والأفكار التكفيرية عبر محاضرات ودروس ومؤلفات حوت زبدة الفكر وأدلته.

قال أبو مصعب السوري: (وأصدرت جماعة «الجهاد» المصرية عدداً من الأبحاث الهامة، وتوَّجت ذلك بالكتاب القيم «العمدة في إعداد العدة» لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز[(٣)] فك الله أسره[(٤)]، وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب «الأفغان العرب»، وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية حينها، وبقي واحداً من أهم كتب التيار الجهادي)[(٥)].

فسيد إمام يُعدُّ المعلّم الأبرز لعامة منظري الفكر التكفيري

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٢).
(٢) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٧).
(٣) وهو اسم مستعار، واسمه الحقيقي: سيد إمام عبد العزيز إمام الشريف.
(٤) كان مسجوناً حينها في مصر.
(٥) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٨).

الجهادي، مثل أيمن الظواهري وأسامة بن لادن وأبي مصعب السوري وأبي محمد المقدسي[(١)].

وقد كانت «القاعدة» تستخدم كتبه في تجنيد أتباعها.

قال سيد إمام مبيّناً: (وقد كتبت «الوثيقة» من منطلق شرعي، فقد وجدت جماعة «الجهاد» ثم «القاعدة» يستخدمون كتبي في تجنيد أتباعهم)[(٢)].

لم يُظهر ابن لادن خلال تلك الفترة العداء للمملكة العربية السعودية ولم يعلنه؛ بل كان مستخفياً بأفكاره، حتى جاءت سنة ١٩٩٤م فأظهر تكفيره للمملكة وعداءه لها، وكان وقتها في السودان[(٣)].

(١) اسمه: عصام طاهر البرقاوي، وهو فلسطيني الأصل، ولد في فلسطين سنة ١٩٥٩م، وعاش في الكويت ودرس فيها مراحله الدراسية الثلاث؛ الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وقد تأثر بالفكر السروري الذي يتزعمه محمد سرور زين العابدين فترة وجوده في الكويت، والتحق بتنظيمه في الكويت، وتأثر بالأفكار التكفيرية واعتنى بكتب سيد قطب خاصة، ثم سافر للدراسة في البوسنة ثم العراق، ولم يكمل دراسته، ثم انتقل منها إلى المدينة النبوية للالتحاق بالجامعة الإسلامية، ولم يتيسر له الدراسة فيها، وتأثر بجماعة جهيمان وصاحبهم، ثم انتقل إلى أفغانستان سنة ١٩٨٦م، وهناك التقى بسيد إمام والظواهري وقادة الأفكار التكفيرية، وتعاون معهم في بث الأفكار التكفيرية في معسكرات أفغانستان والقاعدة على سبيل الخصوص، وأصدر في أفغانستان أول كتبه «ملة إبراهيم»، ثم «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية». وبعد قيام حكومة رباني في أفغانستان سنة ١٩٩٢م انتقل إلى الأردن، وواصل من هناك بث أفكاره وأطروحاته التكفيرية الجهادية، وفي سنة ١٩٩٣م أدخل السجن مع أبي مصعب الزرقاوي بسبب ما يُعرف بتنظيم «بيعة الإمام»، وبقي في السجن إلى أن أفرج عنه سنة ٢٠١٤م. له العديد من الكتب التي تنظّر للفكر التكفيري، منها: «ميزان الاعتدال»، و«هذه عقيدتنا»، و«وقفات مع ثمرات الجهاد»، و«الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير».

(٢) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الثامنة بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٨م.

(٣) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة العاشرة بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٨م.

ومن ذلك التاريخ بدأ ابن لادن يسعى في التأليب على المملكة العربية السعودية، والتحريض عليها، وقد وقعت عدة تفجيرات في المملكة العربية السعودية متأثرة بدعوته المباشرة وغير المباشرة.

ثم اختار ابن لادن أن يغير استراتيجيته في محاربة الحكومات الإسلامية، والسعودية على سبيل الخصوص، فَأراد أن يقلب معادلة الجهاد التي سار عليها، فبدلاً من مهاجمة الدول الإسلامية ومحاربتها والتحريض عليها لتكون هدفه الأول، اختار أن يجعل الحرب على أمريكا هدفه الأول، ويجعل من ذلك سبيلاً لمعاداة ومحاربة المملكة العربية السعودية على الخصوص.

ويلخص أبو مصعب السوري هذه المعادلة الجديدة فيقول: (ضربُ الوجود الأمريكي، فيُضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحاً أمام الناس.

واختار ابن لادن الخيار الثاني، وأعتقد أنه كان مصيباً إلى حد كبير... فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد على أمريكا، وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع رأس الأفعى كما دعاها مع ذيولها الكثيرة)[١].

ثم أسس ابن لادن سنة ١٩٩٨م ما يُعرف بـ«الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين» بالاشتراك مع بعض جماعات الغلو والتطرف في باكستان وبنغلادش وجماعة «الجهاد» المصرية، وأصدر المؤسسون بياناً ذكروا فيه أن: (قتل الأمريكان وحلفائهم، مدنيين وعسكريين، فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر فيه)[٢].

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٣).

(٢) نشر في صحيفة القدس العربي بتاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٩٨م.

وقد وسّع التنظيم من نفوذه بعد ذلك فكوّن عدة أفرع في البلاد الإسلامية تحت اسم تنظيم «القاعدة».

الفرع السادس

تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بـ«داعش»(١)

تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» هو أحد خلايا تنظيم «القاعدة» الأم، فإنه نشأ من عباءة تنظيم «القاعدة»، فالكلام عن نشأته مرتبط بمعرفة نشأة تنظيم «القاعدة» في العراق ومعرفة المراحل التي مرّ بها.

وقد كانت بداية نشاط تنظيم «القاعدة» في العراق في سنة ٢٠٠٣م من خلال جماعة «أنصار الإسلام» الكردية، وهي من جماعات الغلو والتكفير التي أسسها بعض الأكراد الذين شاركوا في أفغانستان وتلقوا فكر الغلو والتطرف في معسكراتها كما تلقاه غيرهم.

قال سيد إمام متحدثاً عن نشأة تنظيم «القاعدة» في العراق: (ثم دخلا ـ أي ابن لادن والظواهري ـ العراق بعد احتلاله في ٢٠٠٣م بالتسلق على أكتاف جماعة «أنصار الإسلام» الكردية، ثم تنكرا لها

(١) انظر: «مد الأيادي لبيعة البغدادي» لهمام الأثري، و«إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام» لعثمان التميمي، و«بيعة الأمصار للإمام المختار» لأبي جعفر الحطاب، و«الدولة الإسلامية» بين الحقيقة والوهم» لأبي عبد الله المنصور، و«العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» لمظهر الويس، و«الدولة الإسلامية داعش حقيقتها وأفكارها وموقف العلماء منها» د. صالح الرقب، و«تنظيم الدولة النشأة والأفكار» وحدة الدراسات في مركز صناعة الفكر، و«في قلب داعش عشرة أيام داخل الدولة الإسلامية» ليورجن تودنهوفر. وانظر: البيانات التي أصدرها أبو بكر البغدادي زعيم داعش وبيانات الناطق باسم داعش أبي محمد العدناني، «داعش نهاية العالم» لسانتس مارتنس، «الرايات السود صعود داعش» لجوبي واريك، «القاعدة، الدولة الإسلامية، حركة الجهاد العالمي» لدانييل بايمان.

وعملا باستقلالية عنها)[١].

ثم بدأ تنظيم «القاعدة» يظهر ككيان مستقل عن جماعة «أنصار الإسلام» تحت اسم «جماعة التوحيد والجهاد» التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي[٢] سنة ٢٠٠٤م، وكان قد أعلن في بداية تكوين جماعته الوقوف ضد الوجود الأمريكي.

ثم غيّر الزرقاوي اسم التنظيم إلى «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» وأعلن بيعته لابن لادن رسمياً وتبعيته له في السَّنة نفسها، ثم كوّن ما يُعرف بـ«مجلس شورى المجاهدين» سنة ٢٠٠٥م والذي ضم عدداً من الفصائل المقاتلة في العراق.

وبعد مقتل الزرقاوي سنة ٢٠٠٦م على أيدي القوات الأمريكية، أعلن «مجلس شورى المجاهدين» تنصيب أبي حمزة المصري المهاجر زعيماً له في العراق، وأعلن بيعته لتنظيم «القاعدة».

ثم تأسس ما يُعرف بـ«دولة العراق الإسلامية» سنة ٢٠٠٦م، وصدرَ بيانٌ تلاه أبو حمزة المهاجر أعلن فيه حلّ «مجلس شورى المجاهدين» لصالح «دولة العراق الإسلامية» واختيار أبي عمر البغدادي أميراً لها.

---

(١) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الحادية عشرة بتاريخ ٢٨/١١/٢٠٠٨.

(٢) اسمه: أحمد فضيل الخلايلة، أردني من مواليد سنة ١٩٦٦م، سافر إلى أفغانستان، وتلقّف الأفكار التكفيرية هناك، وانضم إلى مجموعة «التوحيد والهجرة السلفية» التي يترأسها أبو محمد المقدسي، وبعد قيام حكومة رباني في أفغانستان سنة ١٩٩٢م رجع إلى الأردن، ثم دخل السجن سنة ١٩٩٣م مع أبي محمد المقدسي، ثم أفرج عنه بعفو عام سنة ١٩٩٩م، وانتقل بعدها هارباً إلى أفغانستان في عهد حكومة طالبان، وبعد سقوط حكومة طالبان سنة ٢٠٠١م فر إلى إيران، ومنها إلى العراق بعد الغزو الأمريكي سنة ٢٠٠٣م، وكوّن تنظيم «التوحيد والجهاد»، ثم بايع القاعدة سنة ٢٠٠٤م، وصار التنظيم يحمل اسم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، ثم أسس مع بقية الفصائل المقاتلة تنظيم «مجلس شورى المجاهدين». قتل في غارة أمريكية سنة ٢٠٠٦م.

وقد دعا أسامة بن لادن زعيم تنظيم «القاعدة» في تسجيل صوتي له بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧ إلى مبايعة أبي عمر البغدادي أميراً على «دولة العراق الإسلامية».

وقد جرى على أيدي تنظيم «دولة العراق الإسلامية» مذابح لأهل السُّنَّة في الفلوجة والرمادي والموصل، وغيرها من مناطق السُّنَّة، مثل ما يجري الآن على أيدي داعش، كما سيطروا على بعض هذه الأماكن فترة من الزمن.

وفي يوم الإثنين ١٩/ ٤/ ٢٠١٠ قُتل أبو عمر البغدادي ووزيره أبو حمزة المهاجر في غارة أمريكية، فبايع التنظيم أبا بكر البغدادي أميراً لتنظيم «دولة العراق الإسلامية».

واستمرت الدولة تحت إمرة وبيعة تنظيم «القاعدة» إلى وفاة ابن لادن، ثم بايعوا أيمن الظواهري زعيماً لتنظيم «القاعدة» بعد ابن لادن، وأعلنوا استمرار التبعية لتنظيم «القاعدة».

وأبو بكر البغدادي، واسمه: إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي، ولد سنة ١٩٧١م، وقد نشأ في بداية أمره مع جماعة الإخوان المسلمين، كما اعترف بذلك يوسف القرضاوي في أكتوبر ٢٠١٤م حيث قال: (كان هذا الشاب من الإخوان في أول أمره، إلا أنه يميل إلى القيادة، وأغراه هؤلاء بعد عدة سنوات، كان مسجوناً وانضم إلى هؤلاء)[(١)].

ثم تأثّر بفكر «القاعدة» وانضم إلى تنظيم «جماعة التوحيد والجهاد» التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي، ثم قُبض عليه وسُجن مع أفراد «مجلس شورى المجاهدين» في سجن بوكا التابع للقوات الأمريكية في

(١) شريط مرئي منشور في موقع اليوتيوب بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠١٤، بعنوان: (القرضاوي يعترف: خليفة داعش من الإخوان المسلمين).

العراق، ومكث في السجن أربع سنين، والتقى هناك بأفراد من «القاعدة»، ثم أطلق سراحه.

لم يكن لأبي بكر البغدادي بروز بين أفراد التنظيم في أوّل أمره إلى مقتل أبي عمر البغدادي، لكنّ الذي ساهم في إبرازه هو العقيد البعثي السابق حجي بكر، حتى نصّبه أميراً للتنظيم خلفاً لأبي عمر البغدادي، نظراً لنفوذ حجي بكر الكبير في قيادة التنظيم في وقت أبي عمر البغدادي، حيث كان من المقربين عنده.

ولما بدأت الأحداث في سوريا، واشتدت وطأة القتال فيها، عرض العقيد حجي بكر ـ وكان المستشار الخاص لأبي بكر البغدادي ـ على أبي بكر البغدادي فكرة تكوين فصيل جهادي في سوريا تابعٍ لدولة العراق الإسلامية، خوفاً من انفلات أفراد التنظيم والتحاقهم بالقتال في سوريا، فكوّنوا ما يُعرف بـ«جبهة النصرة» وأمّروا عليها أبا محمد الجولاني، وكان ذلك في سنة ٢٠١٢م.

قال أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية»: (فإن الجميع يعلم أنها جماعة واحدة، وأن اسم «جبهة النصرة» ما هو إلا غطاء أمني إعلامي لوجود الدولة في الشام وعملها، وأن أميرها ماهو إلا جندي من جنود الدولة، وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل)[١].

ولما ذاع صيت «جبهة النصرة» في سوريا، والتحق بها كثير من الجهاديين التكفيريين، وخشي أبو بكر البغدادي أن يستقل الجولاني بالجبهة، أعلن في تسجيل صوتي بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠١٣م حلّ تنظيمي «جبهة النصرة» و«دولة العراق الإسلامية» واندماجهما في التنظيم الجديد

(١) بيان صوتي ومفرغ بعنوان «فذرهم وما يفترون»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية http://al-adneni.blogspot.com

الذي يحمل اسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، الأمر الذي قابله الجولاني بالرفض، وأعلن ذلك في شريط صوتي.

حاول الظواهري التدخّل لحل الأزمة، فأصدر حكمه بانسحاب «الدولة الإسلامية في العراق والشام» إلى العراق، وبقاء «جبهة النصرة» في سوريا، وقد قوبل هذا الحكم برفض أبي بكر البغدادي.

وعلى الرغم من الخلاف بين تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وقتها و«القاعدة»، إلا أن التنظيم لم يتنكّر من تبعيته لتنظيم «القاعدة» منذ أن كانوا في العراق، حيث قال الناطق باسمها أبو محمد العدناني: (أرسلت الدولة عبر أبي حمزة المهاجر رسالةً لقيادة القاعدة تؤكّد فيها ولاء الدولة لرموز الأمّة المتمثّلين بالقاعدة، وتُخبرهم أنّ الكلمةَ لقيادة الجهاد في العالم لكُم، برغمِ حلّ تنظيمكم على أرض الدولة، تبقى الكلمة لكُم)[١].

فحقيقة الخلاف الذي نشأ بين تنظيم «الدولة الإسلامية» و«القاعدة» منذ ذلك الحين لم يكن خلافاً عقدياً فكرياً، ولم يدّع أحد منهما ذلك وقتها، لكنّ تنظيم الدولة يرى أن الظواهري قد حاد عن منهج تنظيم «القاعدة»، وخرج عن سياسة مؤسسه أسامة بن لادن، كما أن الظواهري يراهم خارجين عن طاعته، إذ كان يعتبرهم من أتباعه، وملزمين شرعاً بطاعته.

ولذلك أكّد أبو محمد العدناني مضيهم على طريق أسامة بن لادن الذي حاد عنه الظواهري، فقال: (فإننا بإذن الله ماضون على منهج الإمام الشيخ أسامة، وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي، ومؤسس الدولة أبي عمر البغدادي، ووزير حربها أبي حمزة المهاجر، لن نبدّل إن

(١) بيان صوتي ومفرغ بعنوان «عذراً أمير القاعدة»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية http://al-adneni.blogspot.com

شاء الله ولن نغيّر، حتى نذوق ما ذاقوا)[١].

ثم ما لبث أن تحول الخلاف بين تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وقتها من جهة، وتنظيم «القاعدة» و«جبهة النصرة» من جهة أخرى إلى صراع دموي، انتهى بتكفير بعضهم بعضا.

إذا تبيّن هذا، عرفنا أن حقيقة الخصومة والصراع بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة مبني على خلافات تنظيمية وصراعات على الزعامة، وليس خلافاً فكرياً، فإن التنظيمين في أصلهما قد تكوّنا من التنظيم الأم؛ تنظيم «القاعدة».

وقد صرّح زعيم «جبهة النصرة» أبو محمد الجولاني نفسه بأن الخلاف مع تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام" هو في حقيقته خلافٌ بين الإخوة، لكن ضُخّم إعلاميًا، فقد سُئل عن حقيقة الخلاف مع تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، فأجاب: (باختصار شديد، هناك وقع خلاف يقع بين الإخوة في البيت الواحد... أخذ الموضوع أكبر من حجمه بكثير، الموضوع أبسط من هذا وأسهل)[٢].

كما صرّح أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية»، بأن الصراع مع جبهة النصرة ليس ناشئاً عن اختلاف في العقيدة؛ بل سببه الحسد وحب الزعامة، حيث قال: (إنّ القوم ـ أي: جبهة النصرة ـ لا يريدون إلّا أمراً واحداً: عدم الاعتراف بالدولة الإسلامية عناداً وكبراً وإسقاطها والقضاء عليها)[٣].

---

(١) بيان صوتي ومفرغ بعنوان «ما كان هذا منهجنا ولن يكون»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية http://al-adneni.blogspot.com

(٢) مقابلة تلفزيونية مع قناة الجزيرة الفضائية نُشرت بتاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٣.

(٣) بيان صوتي بعنوان «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية http://al-adneni.blogspot.com

ثم في شهر يونيو ٢٠١٤م وبعد دخول تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» إلى الموصل أعلن أبو محمد العدناني الناطق باسمها قيام الخلافة الإسلامية وتنصيب أبي بكر البغدادي خليفةً للمسلمين، وإلغاء مسمى «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام»، ليكون الاسم الجديد «الدولة الإسلامية».

الفرع السابع

جماعات الغلو والتكفير نشأت في أحضان جماعة الإخوان المسلمين ومن أفكار رؤوسها

والآن وبعد ذكر موجزٍ لنشأة أشهر وأهم جماعات الغلو والتكفير المعاصرة، لا بد من التنبيه على أمرٍ مهم، ألا وهو: أن هذه الجماعات على اختلاف مسمياتها قد اتفقت واعترفت بأن أصل الفكر الذي تتبناه لم يكن نابعاً من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ولا متأثراً بمنهجها ودعوتها، وإنما نبع ونشأ في أحضان جماعات مخالفةٍ لمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته، من أشهرها جماعة الإخوان المسلمين المصرية، فحملت هذه الجماعات أفكار بعض رجالات جماعة الإخوان المسلمين، من أشهرهم سيد قطب.

وقد صرّح منظرو هذه الجماعات بهذا الأمر، واتفقت كلمتهم عليه.

قال أبو مصعب السوري: (الجماعات الجهادية الحركية معظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أساس الولاء والبراء والحاكمية، والذي كان من أوائل منظّريه الشهيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان)[١].

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٦٨٩).

فها هو فيلسوف ومنظر تنظيم «القاعدة» يُقرّ بأن جماعات الغلو والتكفير، والتي يُسميها بالحركات الجهادية انبثقت من جماعة الإخوان المسلمين، وأن أول منظّريها: سيد قطب وأبو الأعلى المودودي، وليس الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولا غيره من أئمة الدعوة النجدية.

وقال أيضاً: (ونظراً إلى أن دعوة الإخوان المسلمين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلِّمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا، كان كثيرٌ من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم، فكان هذا من أهم أسباب حمل الدعوة الأم، وهي الركن الأساسي في الصحوة السياسية والجهادية من بعدُ في تلك البلاد)[١].

فجماعة الإخوان المسلمين هي البيئة التي نشأت فيها جماعات الغلو والتكفير، ومنها انطلقت.

ويؤكد هذا ما سبقت الإشارة إليه في تاريخ هذه التنظيمات، فإن جماعتي «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» المصريتين ترعرعتا في أحضان جماعة الإخوان المسلمين، ونحتا المنحى الجديد الذي تولّد في صلب جماعة الإخوان المسلمين، والذي قاده ونظّر له سيد قطب، وهو الفكر الذي ينتهج منهج الصراع والعنف والمواجهة مع الأنظمة الحاكمة، ويُكفّر المجتمعات الإسلامية ويدعو إلى الثورة عليها.

وأرض أفغانستان التي فرّخت كل الحركات التكفيرية والجهادية التي جاءت بعدُ، كان منظرو الفكر فيها على الخصوص جماعتي «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» المصريتين، كما أن أول من هيأ للشباب العربي للقدوم إلى أفغانستان، ودعا إلى الجهاد فيها هو: عبد الله عزام، وهو عضو في جماعة الإخوان المسلمين.

ومؤسس تنظيم «القاعدة» أسامة بن لادن، كان من جماعة الإخوان

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٦٩٥).

المسلمين، ولم يكن يحمل فكر التكفير والغلو في أول قدومه إلى أفغانستان، ولا تلقّاه من المملكة العربية السعودية؛ بل كان حَسَن الظن بولاة الأمور وبالعلماء، لكنّ الانحراف الفكري الذي طرأ عليه إنما حمله وتلقّاه في أفغانستان، وعلى يد جماعتي «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» بالخصوص.

وهذا يؤكد أن هذه الجماعات لم تنطلق من مبادئ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ولم تحمل عقيدتها ومنهجها؛ بل على العكس من ذلك حملت مناهج جماعاتٍ حذّر أئمة الدعوة الإصلاحية منها.

وقد أكّد أبو مصعب السوري أن فكر الغلو والتكفير نبع من كتابات أبي الأعلى المودودي وسيد قطب بالخصوص.

فقال: (ففي الباكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ العبقري الفذ أبي الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللَّهُ مادة أساسية لتبلور فكر الجهاد... واشتمل أحد أهم كتبه وهو «المصطلحات الأربعة» على كثير من أساسيات الفكر الجهادي المعاصر.

ولكن رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بلا منازع، والذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التفكير ونظريات الحركة في «التيار الجهادي المعاصر» كان بلا شك الأستاذ المعلم سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ)[1].

وأحب أن أنبه أن مصطلح «التيار الجهادي المعاصر» عند أبي مصعب السوري، والذي يعزو ميلاده إلى أطروحات وأفكار سيد قطب قد عرّفه بقوله: (التيار الجهادي: ويشمل على التنظيمات والجماعات والتجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي،

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٦٩١).

باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة)[١].

وهذا يعني أن الفكر الذي يقوم على تكفير الحكومات وقتالها والخروج عليها بالثورة والسلاح يرجع إلى الأسس التي قعّدها ونظّر لها سيد قطب وأبو الأعلى المودودي.

قال عبد الله عزام مؤكداً هذه الحقيقة: (والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابات سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم. والحق أنني ما تأثرت بكاتب كَتَب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب، وأني لأشعر بفضل الله العظيم علي إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكرياً...

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي، وفي الجيل كله فوق الأرض كلها)[٢].

وقال أبو محمد المقدسي: (بل قد أمضيت عمراً في رافد تصحيحي من روافد الإخوان الذين أرضعونا «الظلال» و«المعالم» وغيرهما من كتب سيد وأخيه المودودي ـ رضاعة في طور الحضانة أعني بداية الهداية)[٣].



(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٦٨٧).

(٢) مقال بعنوان: «عشرون عاماً على الشهادة»، منشور في الشبكة العنكبوتية: موقع «بلادي تو دي» http://blady2day

(٣) مقدمة «ميزان الاعتدال لتقييم كتاب المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال»، موقع منبر التوحيد والجهاد، (ص٥).

خلاصة المبحث

من خلال ما سبق شرحه وتفصيله في ذكر نشأة كلٍّ من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وجماعات الغلو والتكفير المعاصرة يظهر بشكل جلي التباين العظيم بين الدعوتين من وجوه متعددة:

الأول: أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد نشأ نشأة علمية وتلقّى علومه عن علماء وفقهاء مشهورين، وواصل تحصيله العلمي في حلقات العلم حتى تمكن منه، وفاق كثيراً من أقرانه، فجاءت دعوته علمية مؤصلة، تقوم على أسس علمية وأصولية، فكانت موافقة للنصوص ولهدي السلف الصالح. وأما معارضة من عارضه وقتها فقد كانت لها دوافع كثيرة، منها الإلف والعادة، ومنها الخوف من زوال الرئاسة، ومنها الحسد، ومنها الجهل.

وأما جماعات الغلو والتكفير التي سبق ذكر أهم فصائلها، فإنها لم تنشأ نشأة علمية؛ بل نشأت في أحضان جماعات حزبية سياسية ليس لها من العلم نصيب بعيداً عن الأوساط العلمية، فإن جميع مؤسسيها بلا استثناء لم يُعرفوا بعلم ولا بمجالسة العلماء، ولم يتخرّجوا من الحلقات العلمية، ولا الكليات الشرعية.

فمؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا ليس من أهل العلم، ولا له نصيبٌ فيه، وإنما كان يسعى لإصلاح المجتمع عبر الجماعة التي أسسها.

ومؤسس الفكر التكفيري المعاصر: سيد قطب، كان اشتراكياً معتنياً بالأدب، ثم انضم إلى الإخوان المسلمين، ولم يكن معروفاً بالعلم وممارسته؛ بل كان أديباً.

قال الشيخ عبد الله السبت رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن سيد قطب لم يتعلم العلوم الشرعية وفق الأسس الصحيحة، وإنما انتقل من ثائرٍ ومصلح اشتراكي إلى مصلحٍ إسلامي دون أن تتاح له الفرصة للنظر في العلوم الشرعية إلا بعد الكتابةِ والتأليف)[(١)].

وأبرز مؤسسي جماعة «الجهاد» المصرية؛ سيد إمام وأيمن الظاهري، كانا طبيبين في الطب البشري، وكذلك هو الحال مع مؤسسي «الجماعة الإسلامية» بمصر، فإنهم لم يكونوا من أهل العلم ولا ممن عُرف به.

والجماعة السلفية المحتسبة أتباع جهيمان، كان مؤسسوها من جماعة التبليغ، ولم يكن لهم في العلم نصيب.

وتنظيم «القاعدة» أسسه أسامة بن لادن، ولم يكن من أهل العلم ولا عُرف به؛ بل كان من جماعة الإخوان المسلمين ثم تأثر بجماعة «الجهاد» المصرية.

وهكذا كل من سمّينا من جماعات الغلو والتكفير، ومن لم نسمّ، إنما أسّسها أشخاصٌ لا يمتون للعلم بصلة، فضلاً عن أن يكونوا ممن تتلمذ على أئمة الدعوة وعلمائهم وكتبهم.

الثاني: أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب نشأت في بلاد نجد، وخرجت من حلقات العلم فيها، أما جماعات الغلو والتكفير فإنها نشأت خارج نجد؛ بل خارج الجزيرة العربية بأسرها، فإن جماعة الإخوان المسلمين نشأت في مصر، وهكذا كل الجماعات والتنظيمات التي نشأت بعدها، فإن مردّها إلى هذه الجماعة الأم، كما أن فكر الجماعة الأم قد انتقل إلى أفغانستان عبر عبد الله عزام وعبر الجماعتين المصريتين؛ «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» اللتين فرّختا هناك. ومن

---

(١) «الخوارج فتنة العصر» (ص١٧٩).

أفغانستان خرجت جميع التنظيمات التكفيرية التي جاءت فيما بعد، ومن أخطرها تنظيم «القاعدة».

الثالث: أن منظري ومؤسسي جماعات الغلو والتكفير قد أقروا واعترفوا بأن أصل فكرهم وعقيدتهم وغلوهم الذي يسمونه جهاداً إنما هو تطبيقٌ للمبادئ والأطروحات التي نظّر لها أبو الأعلى المودودي وسيد قطب على الخصوص في كتبهما، وأن هذه الجماعات إنما هي امتدادٌ للمشروع الذي بدأه سيد قطب بعد خروجه من السجن، والذي أعدم بسببه، وقد سبق ذكر نصوصهم في ذلك، ولم يَذكُر أحدٌ من منظّري هذه الجماعات أنهم تلقّوا أفكارهم التكفيرية، واعتنقوا مبادئهم التدميرية من كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب ولا عن أحدٍ من تلاميذه.

وأما استشهاد هذه الجماعات في بعض ما يقررونه أحياناً ببعض كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض تلاميذه، فهو كاستشهادهم بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وبأقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة العلم، ولا مزية لكلام إمام الدعوة على كلام غيره في ذلك، وذلك أنهم ينقلون نصوصاً لإمام الدعوة وغيره ويحرّفونها عن معناها ويصرفونها عن مقصود قائلها، كما حرّفوا نصوص الكتاب والسُّنَّة لتدل على باطلهم، وهذا ليس ببدعٍ من الأفعال، فإن أهل البدع قاطبة قد اشتركوا في هذا التلبيس والتحريف.

ونسبة غلوِّ الجماعات التكفيرية إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية من جنس نسبة المشركين الفواحش إلى شريعة الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

وبهذا يتبيّن بطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير إلى دعوة الإمام

محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية باعتبار النشأة والتلقّي، وذلك لتباين الدعوتين في النشأة والبيئة تبايناً ظاهراً، يؤكده اعتراف منظري جماعات الغلو والتكفير بهذه الحقيقة التي لا يُنكرها إلا مكابر، وهل يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل.





المبحث الثاني

مباينة أصول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأصول جماعات الغلو والتكفير

ما جرى على أيدي جماعات الغلو والتكفير من تكفيرٍ للمسلمين، واستباحةٍ لدماء المعصومين، وإتلافٍ لممتلكات الأبرياء الآمنين، كل ذلك بدعوى الجهاد، منشؤه فسادٌ فكري وعقدي، تمثّل في أصولٍ فكرية آمنت بها هذه الجماعات، حتى صارت عقيدة متوارثة بين أتباعها لا تقبل الطعن ولا التشكيك، وجعلتها أساساً تنطلق منه وتستند إليه في تطبيقاتها الواقعية.

وكل من تأمل الأصول الفكرية لهذه الجماعات ثم قارنها بما يقابلها من أصول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، يرى تبايناً عظيماً بين الدعوتين، ويقطع ببطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أصولاً وفروعاً، وأن الجمع بينهما جمعٌ بين متضادين.

ولعلي أشير إلى أهم الأصول الفكرية التي تميزت بها هذه الجماعات، والتي تستند إليها في فسادها المسمى زوراً بالجهاد في سبيل الله، عبر المطالب التالية، ثم أبيّن مناقضتها لأصول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بالنقل من كلامه وكلام أئمة الدعوة بعده.

المطلب الأول

الحكم على جميع الحكومات في البلاد الإسلامية بالكفر والردّة بلا استثناء

هذا الأصل على وجه التحديد هو سبب نشأة فكر الغلو والتكفير المعاصر، والذي غرس بذرته أبو الأعلى المودودي وسيد قطب من خلال كتاباتهما، وهيأت جماعة الإخوان المسلمين الأجواء لنمو هذا الفكر وانتشاره، حتى أثمر ظهور جماعات الغلو والتكفير في كثير من بلدان المسلمين وبمسميات مختلفة.

وهذا الأصل قد اتفقت عليه جميع التنظيمات الجهادية في العالم اليوم على اختلاف مسمياتها وبلدانها، لا تختص به جماعة دون أخرى.

ومن أشهر الأسباب التي يُستند عليها في هذا الأصل: الحكم بغير ما أنزل الله، ومظاهرة الكفار، واستحلال الذنوب، والانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة.

وهذا الأصل هو نص المادة التاسعة من دستور تنظيم «القاعدة» الذي كتبه أبو مصعب السوري حيث قال: (تعتبر دعوتنا كافة حكام بلاد المسلمين الذين يوالون أعداء المسلمين من الأمريكان وحلفائهم من اليهود والصليبيين، ويحكمون بغير ما أنزل الله، ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله، تعتبرهم كفاراً مرتدين، قد سقطت ولايتهم الشرعية)[١].

بل إنهم يعتبرون أن الشرك في الحاكمية اليوم أعظم من شرك عباد الأصنام.

قال سيد إمام: (الطواغيت الأحياء أعظم من الطواغيت الأموات،

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٩٢٧).

وأقصد بالطواغيت الأحياء أئمة الكفر والحكام المرتدين... وأقصد بالطواغيت الأموات: القبور والأحجار والأشجار وغيرها من الجمادات التي تعبد من دون الله بشتى صور العبادة)[١].

ومن هذا الأصل تولّدت عدة أصول فرعية:

الأصل الفرعي الأول: تكفير جميع الجيوش في البلاد الإسلامية بلا استثناء:

قال أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» في أحد بياناته المسموعة: (إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين هي بعمومها جيوش ردّة وكفر، وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردتها وخروجها من الدين؛ بل ووجوب قتالها، وفي مقدمتها الجيش المصري، لهو القول الذي لا يصح في دين الله خلافه)[٢].

وقال أبو مصعب السوري في نص المادة الثانية عشرة من دستور «القاعدة»: (كل من ظاهر الحكام المرتدين، وقاتل المسلمين والمجاهدين معهم، من جنودهم وشرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الذين يدافعون عنهم، ويأتمرون بأمرهم في قتل المجاهدين ومطاردتهم، لا نحكم بكفره عيناً، ويُقاتلون على أنهم طائفة ردّة عامة بصرف النظر عن جاهلهم ومُكرههم ومتأولهم)[٣].

الأصل الفرعي الثاني: اعتبار ديار المسلمين ديار كفرٍ وردة:

قال سيد إمام: (ومنه تعلم أن البلاد التي أكثر أهلها من المسلمين

---

(١) «العمدة في إعداد العدة» (ص٣٣٥).

(٢) بيان صوتي بعنوان «السلمية دين من؟» منشور في الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٣/٨/٢٠١٣م.

(٣) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٩٢٨).

ولكن يحكمها حكام مرتدون بأحكام الكفار بالقوانين الوضعية هي اليوم ديار كفر، وإن كان أكثر أهلها مسلمين يمارسون شعائر دينهم كإقامة الجمع والجماعات وغيرها في أمان؛ لأن الغلبة والأحكام فيها للكفار)[١].

وقال أبو محمد المقدسي: (الدنيا كلها اليوم دار كفر ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة)[٢].

وقال أبو عمر البغدادي، أمير ما يُعرف بـ«دولة العراق الإسلامية» سابقاً، والتي تحولت إلى «داعش» فيما بعد: (ونعتقد بأن الديار إذا علتها شرائع الكفر، وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته، فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي)[٣].

الأصل الفرعي الثالث: كفر السلطات الثلاث في بلاد المسلمين؛ التشريعية، والتنفيذية، والقضائية:

وهذا هو نص المادة السابعة عشرة من دستور «القاعدة».

قال أبو مصعب السوري: (لما كانت دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تعتقد كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله، الموالين لأعداء المسلمين وردتهم، مثل جميع الحكام القائمين في بلاد المسلمين اليوم، فإنها تعتبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثلاث:

---

(١) «الجامع في طلب العلم الشريف» (٢/ ٦٤٤).
(٢) «وقفات مع ثمرات الجهاد» (ص٨٣).
(٣) بيان صوتي منشور في الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٧م، بعنوان: «قل إني على بينة من ربي».

التنفيذية: الحكومة والوزارات.

التشريعية: البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.

القضائية: المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملاً محرماً، وفعلاً من أفعال الكفر، يأثم صاحبه على الأقل أو يكفر، بحسب مسؤوليته وجرمه ونصيبه من العذر والتأويل)[١].

فهو يرى أن العمل في هذه المؤسسات الثلاث كفرٌ بحد ذاته، وهذا هو بيت القصيد، وإن كان يربط تنزيله على الأشخاص بتوافر الشروط وانتفاء الموانع.

الأصل الفرعي الرابع: جهاد الحكومات المرتدة فرض عين على كل مسلم وهو أعظم الجهاد في سبيل الله، والقعود عن ذلك كبيرة وإثم عظيم:

قال سيد إمام: (وكون جهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين، هو من العلم الواجب إشاعته في عموم المسلمين، ليعلم كل مسلم أنه مأمور شخصياً من ربه ﷻ بقتال هؤلاء)[٢].

وقال أيضاً: (وجهاد هؤلاء الحكام الكافرين فرض عين على كل مسلم، وكل من نكَلَ عن القيام بهذا الجهاد الواجب عيناً فهو آثم، مرتكبٌ لكبيرة، فاسقٌ، للوعيد الوارد في حق تارك الجهاد العيني)[٣].

فرع: موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل:

أما الإمام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة بعده، فهم من أبعد الناس عن الحكم على حكام المسلمين بالردة والكفر، والمروق من الدين، فضلاً عن اعتبار ديار المسلمين ديار كفر وردّة.

---

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٩٣٠).

(٢) «العمدة في إعداد العدة» (ص٣١٤).

(٣) «الجامع في طلب العلم الشريف» (١/ ٩٥).

فإنهم يوجبون السمع والطاعة لأئمة المسلمين، ويحرمون نزع اليد من طاعتهم، وينهون عن كل ما من شأنه إيغار الصدور على أئمة المسلمين.

والإمام محمد بن عبد الوهاب على الرغم من عداوة ومعارضة كثير من رؤساء وزعماء ذلك الزمان له؛ كسلاطين بني عثمان، وأشراف مكة، وملوك مصر، والتي انتهت بقتاله ومحاربته، فإنه لم يعتبر ديارهم ديار كفر وردة، ولكنه قاتلهم دون النفس والحرمة، ولم يتعرض لتكفير أولئك الرؤساء والحكام.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما القتال: فلم نقاتل أحداً إلى اليوم، إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً)[١].

وقال أيضاً: (إن العداوة، واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير والقتال؛ بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال)[٢].

وقال ابن غنام: (ولم يأمر رَحِمَهُ اللَّهُ بسفك دم ولا قتال على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدؤوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير)[٣].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ من أعظم الناس وأكثرهم رفقاً وحلماً، ووقوفاً مع الحجَّة والدليل، ولم يبدأ أحداً بقتال حتى بدؤوه وكفَّروه)[٤].

وقد سُئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله تعالى: من لم تشمله دائرة إمامتكم، ويتسم بسمة دولتكم، هل داره دار كفر وحرب على العموم؟

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٧٣).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤/ ٢٩٤).
(٣) «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» (١/ ٣٣).
(٤) «مصباح الظلام» (ص٥٢٠).

فأجابوا: (الذي نعتقده وندين الله به، أن من دان بالإسلام، وأطاع ربه فيما أمر، وانتهى عما نهى عنه وزجر، فهو المسلم حرام المال والدم، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، ولم نكفر أحداً دان بدين الإسلام، لكونه لم يدخل في دائرتنا، ولم يتسم بسمة دولتنا؛ بل لا نُكفّر إلا من كَفّر اللهُ ورسولُه، ومن زعم أنا نُكفّر الناس بالعموم، أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ببلده، فقد كذب وافترى)[١].

فأئمة الدعوة من أبعد الناس عن تكفير ولاة المسلمين، واستباحة دمائهم، كما أنهم لم يوجبوا الهجرة إليهم، ولم يعتبروا ديار المسلمين ديار كفر، وإنما كفّروا من كفّره الله ورسوله؛ كالشرك في عبادة الله، واتخاذ الأنداد من دونه.

والصراع الذي كان بين دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ومخالفيها دائرٌ حول أصل الدين؛ توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والنهي عن الشرك في العبادة، وعلى هذا الأصل وقع القتال.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما القتال، فلم يُقاتل الشيخ إلا على أصل الإسلام والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنه قاتل على غير ذلك فقد كذب وافترى، على أن بعض العلماء يرى القتال على ترك بعض الواجبات فكيف بما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتهم)[٢].

وأما ما يتعلق بالحكم بالقوانين الوضعية، فإن إمام الدعوة وأولاده وأحفاده لا يُكفّرون في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله إلا بالاستحلال، فإن لم يستحل الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله؛ بل حَكَم مع اعتقاد

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٥٢).
(٢) «مصباح الظلام» (ص٥٤).

وجوب الحكم بما أنزل الله، فهو من جملة العصاة أصحاب الكبائر، ولا تسقط ولايته بذلك.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فيما لخّصه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم به ـ أي بما أنزل الله ـ فهو كافر، فمن استحلّ أن يحكم بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر... بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم كسوالف البادية، وأمر المطاعين، ويرونه أنه هو الحكم الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسُّنَّة، وهذا هو الكفر إذا عرفوا ما أنزل الله فلم يلتزموه؛ بل استحلّوا الحكم بغيره فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً)[1].

وسئل الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: هل يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله؟

فأجاب: (لا يجوز ذلك، ومن اعتقد حِلَّه فقد كفر)[2].

فعلّق التكفير في تحكيم القوانين بالاستحلال، لا بمجرد الفعل.

وأكّد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ هذا المعنى، وبيّن بأن مناط التكفير في مسألة الحكم بالقوانين هو استحلالها، فقال: (وأما ما ذَكرْتَه عن الأعراب من الفرق بين من استحل الحكم بغير ما أنزل الله، ومن لم يستحل، فهذا هو الذي عليه العمل، وإليه المرجع عند أهل العلم)[3].

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على كلام الشيخ عبد اللطيف في شأن الحكم بالقوانين: (وأنّ ما ذَكَره في شأن الأعراب

---

(١) «موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب، ملحق المصنفات» (١/ ١٤٧).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠/ ٢٥٢).
(٣) «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (١/ ١٣٨).

من الفرق بين من استحل الحكم بغير ما أنزل الله، ومن لم يستحل، هو الذي عليه العمل، وإليه المرجع عند أهل العلم؛ يعني: أن من استحل الحكم بغير ما أنزل الله، ورأى أن حكم الطاغوت أحسن من حكم الله، وأن الحَضَر لا يعرفون إلا حكم المواريث، وأن ما هم عليه من السوالف والعادات هو الحق، فمن اعتقد هذا فهو كافر. وأما من لا يستحل هذا، ويرى أن حكم الطاغوت باطل، وأن حكم الله ورسوله هو الحق، فهذا لا يكفر، ولا يخرج من الإسلام)[(١)].

وكلام علماء الدعوة الإصلاحية في عدم إسقاط ولاية حكام المسلمين لمجرد تحكيم القوانين كثيرة؛ بل كانوا يعتبرونهم أئمة وحكاماً ثبتت ولايتهم ووجبت طاعتهم، مع ضرورة بذل النصيحة لهم.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أما ما ذكرتم حول إبراقي للرئيس حسني مبارك بالتهنئة والمبايعة، فلا أذكر أنه صدر مني شيء في ذلك مع دعائي له بالتوفيق والإعانة على كل خير، وتحكيم الشريعة الإسلامية، وحث الشعب المصري على التمسك بالإسلام والاستقامة عليه، وإخلاص العبادة لله وحده، وهكذا غيره من حكام المسلمين ندعو لهم جميعاً بالتوفيق والإعانة على كل خير)[(٢)].

وقال منكراً اعتداء حاكم العراق على دولة الكويت باعتبارها دولة مسلمة: (لا شك أن هذا الحادث حادث مؤلم، ويحزن كل مسلم، ولا شك أنه جريمة عظيمة وعدوان شديد من الزعيم العراقي على دولة مجاورة مسلمة، فالواجب عليه التوبة إلى الله سبحانه من ذلك، وسحب جميع جيوشه من دولة الكويت)[(٣)].

---

(١) «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (١/ ١٣٦).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٢٢٨).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ١٤٢).

ولما ثارت ما تُعرف بـ«الجماعة السلفية للدعوة والقتال» في الجزائر وحملت السلاح على الحكومة الجزائرية، على اعتبار أن الحكومة الجزائرية كافرة بتحكيمها القوانين الوضعية، أنكر عليهم الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ إنكاراً شديداً، وأبطل حكمهم بتكفير الحكومة[1].

وقال لأهل الجزائر: (الواجب الصبر؛ لأن البلاد بلاد إسلام، يُنادى بها للصلوات وتقام فيها الجمعة والجماعات)[2].

وقال أيضاً: (رأينا أن هؤلاء ـ أي الحكومة والجيش الجزائري ـ ليسوا مرتدين، ولا يجوز أن نقول إنهم مرتدون حتى يثبت ذلك شرعاً)[3].

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ سؤالاً من الجزائر هذا نصه: (تنطلق بعض الجماعات في محاربتها لأنظمتها من قاعدة تقول: «إن محاربة الدول الإسلامية أولى من محاربة الدول الكافرة كفراً أصلياً؛ لأن الدول الإسلامية مرتدّة، والمرتدّ مقدمٌ في المحاربة على الكافر، فما مدى صحة هذه «القاعدة»؟).

فأجاب: (هذه «القاعدة» هي قاعدة الخوارج الذين يقتلون المسلمين، ويَدَعون الكافرين، وهي باطلة)[4].



(١) انظر: «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» لعبد المالك رمضاني ص١٤٢وما بعدها.
(٢) «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» (ص١٤٧).
(٣) «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» (ص١٧١).
(٤) «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» (ص١٥٤).

المطلب الثاني

تكفير المسلمين بالذنوب، أو بما يظنونه ذنباً

هذا الأصل من أبرز أصول الخوارج المتقدمين، وبسببه كفّروا عليّا ومعاوية رضي الله عنهما وكلّ من رضي بالتحكيم لما وقع النزاع بين علي رضي الله عنه وأهل الشام، مع أن التحكيم الذي اتفق عليه عليٌّ رضي الله عنه وأهل الشام كان متعيناً حقناً للدماء، وجمعاً للكلمة، فجعل الخوارج الواجب الشرعي ذنباً، ولم يكتفوا بذلك حتى كفّروا من فعله.

قال أبو الحسين الملطي: (والشراة كلّهم يُكفّرون أصحاب المعاصي ومن خالفهم في مذهبهم مع اختلاف أقاويلهم ومذاهبهم)[١].

وقال ابن تيمية: (والخوارج هم أوّل من كفَّرَ المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويُكفِّرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلُّون دمه وماله)[٢].

وجماعات الغلو والتكفير يُكفّرون بالذنوب، مثل تكفيرهم بالربا، وبإنشاء البنوك الربوية، ويرون الترخيص في إنشائها وحمايتها استحلالاً للربا، كما يكفّرون بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله من غير استحلال، وبأنواع من الموالاة غير المخرجة من الملة؛ بل يُكفّرون بما هو مباح أو واجب؛ كتكفيرهم بمطلق الاستعانة بالمشركين، كما جرى في حرب الخليج، وبدخول المجالس النيابية، وغير ذلك.

قال عصام البرقاوي الملقَّب بأبي محمد المقدسي: (حماية جميع معاملات البنوك بلا قيد أو استثناء وفي هذا بالطبع إباحة للرّبا تماماً كما هو الحال في بقية الدّول الطاغوتية العربية والغربية... ومعلوم أنّ الربا

---

(١) «التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع» (ص٦٣).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٧٩).

في دولة التوحيد المزعوم مباح يحرسه ويحميه القانون)[١].

وقال سيد إمام في ذكر جملة من الذنوب التي يُكفّر بها الدول الإسلامية، ومنها ترخيص البنوك الربوية: (منها النص على إباحة المحرمات صراحة؛ كإباحة الزنا بالتراضي، والترخيص بفتح بيوت للزنا في بعض البلاد التي ما زالت تزعم أنها إسلامية، وإباحة شرب الخمر في أماكن معينة، ومنح الترخيصات بفتح هذه المحلات، والترخيص بصناعة الخمور، وإباحة الربا، والترخيص بفتح البنوك الربوية، وإباحة الملاهي والموسيقى، وإجازة ذلك في وسائل الإعلام الحكومية وغيرها، وإباحة الردة بالنص على حرية الاعتقاد في الدساتير الوضعية، وكل ذلك استحلال صريح للمحرمات)[٢].

وقال أيضًا مبيناً حكم كل من يترشح للبرلمانات، ولو بقصد دفع الضرر: (من كان من هؤلاء النواب راضياً بهذه الوظيفة الشركية للبرلمانات، أو مشاركاً فيها، فهذا كفره ظاهر لا شك فيه، أما من يدّعي من النواب أنه غير راضٍ عن ذلك، وأنه ما دخل إلا للدعوة والإصلاح فهو كافرٌ أيضاً، وقوله ما هو إلا حيلة يخدع بها العوام والجهال تقية يدرأ بها عن نفسه)[٣].

وقال في حق الناخبين: (أما الذين ينتخبونهم من أفراد الشعب فيكفرون أيضاً)[٤].

ثم أكّد أن المراد بالكفر هنا الكفر الأكبر، فقال: (المشاركة في هذه البرلمانات بالترشيح أو الانتخاب من الكفر الأكبر)[٥].

---

(١) «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية» (ص٢٥).
(٢) «الجامع في طلب العلم الشريف» (٢/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧).
(٣) «الجامع في طلب العلم الشريف» (١/ ١٩٩).
(٤) «الجامع في طلب العلم الشريف» (١/ ٢٠١).
(٥) «الجامع في طلب العلم الشريف» (١/ ٢٠٢).

ولأسامة بن لادن كلام كثير في عدة مواضع من خطاباته المنشورة في القنوات الإعلامية، وأشرطته المسموعة، يحكم على حكومات الدول الإسلامية بالردّة والكفر على أمورٍ لا تبلغ ذلك؛ بل منها ما هو مباح في الشرع.

منها حُكمه بكفر من شارك في الانتخابات البرلمانية كما في خطابه الثاني والعشرين، حيث قال: (إن كل مَن يشارك في هذه الانتخابات ـ والتي سبقَ وصفُ حالِها ـ عن عِلمٍ ورِضا، يكونُ قد كفرَ باللهِ تعالى، ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله. وينبغي الحذرُ من الدجّالين الذين يتكلّمون باسم الأحزاب والجماعات الإسلامية، ويحثّون الناس على المشاركة في هذه الردّة الجموح)[١].

ومنها تكفيره الحكومات بمجرد الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة، كما في قوله: (فهؤلاء الذين يزعمون أنهم زعماء العرب، وما زالوا في الأمم المتحدة: هم كفروا بما أُنزل على محمد ﷺ، الذين يُحيلون الأمور إلى الشرعية الدولية، هم كفروا بشرعية الكتاب الكريم، وبسُنَّة المصطفى ﷺ، فهذه هي الأمم المتحدة التي عانينا منها ما عانينا، فلا يذهب إليها مسلمٌ بحال من الأحوال)[٢].

وحَكَم أيمن الظواهري على المسلمين المتجنسين بجنسية الدول الكافرة بالكفر، وجوّز قتلهم باعتبار كونهم في حكم الطائفة الممتنعة عن المسلمين بشوكة وقوة، فيجوز رميهم واستهدافهم بالتفجير والتفخيخ، فقال: (إن التجنس بالاكتساب بجنسية دولة ما يلزم منه الرضا بطاعة

(١) نقله أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية http://al-adneni.blogspot.com تحت عنوان «عذراً أمير القاعدة».

(٢) برنامج على قناة الجزيرة الفضائية بعنوان «أولى حروب القرن» بتاريخ ٧ شوال ١٤٢١هـ.

قوانينها؛ بل إن بعض الدول مثل أمريكا وانجلترا تُلزم المتجنس الجديد بالقَسَم على الولاء لدساتير الدولة وقوانينها، وهذا عملٌ ظاهرٌ من أعمال الكفر)[(١)].

وأكّد أن المتجنّس يأخذ حكم الدولة، فيُباح منه ما يُباح منهم من جواز القتل، فقال: (الجنسية ليست تعريفاً بانتماءٍ لبلد، كما قال الكاتب؛ بل هي دليل انتماء لدولة أي: طائفة ممتنعة بشوكة، لها أرض وحكومة ودستور وقوانين تنظّم حمل واكتساب الجنسية)[(٢)]. قال ذلك في معرض تبرير التفجير في بلاد الكفار، وأن وجود المسلمين فيها ليس مانعاً من جواز استهدافهم بهذه العمليات.

فرع: موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل.

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فهي على الضدّ من ذلك، ترى تحريم تكفير المسلم بالذنوب، وتُغلّظ في ذلك، وتحذّر منه أشدّ التحذير، وتخالف جماعات الغلو والتكفير في تفسير: الإيمان والكفر، وفي شروطهما وضوابطهما.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (إن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب، وهذا حق، ولكن ليس هذا ما نحن فيه؛ وذلك أن الخوارج يُكفِّرون من زنى، أو سرق، أو سفك الدم؛ بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر؛ وأما أهل السُّنَّة فمذهبهم: أن المسلم لا يكفُر إلا بالشرك، ونحن ما كفّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك)[(٣)].

وقال الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله في رسالته للوالي العثماني يوضّح فيها دعوتهم: (نحن بحمد الله، لا نُكفّر

(١) «التبرئة» (ص١٤٥).
(٢) «التبرئة» (ص١٥١).
(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠/ ٣٩).

أحداً من أهل القبلة بذنب، وإنما نُكفِّر بما نصَّ الله ورسوله وأجمع عليه علماء الأمة المحمدية، الذين هم لسان صدق في الأمة: أنه كفر؛ كالشرك في عبادة الله غيره، من دعاء ونذر وذبح، وكبغض الدين وأهله، والاستهزاء به. وأما: الذنوب؛ كالزنى، والسرقة، وقتل النفس، وشرب الخمر، والظلم ونحو ذلك، فلا نُكفِّر من فعله، إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله؛ إلا إن فعله مستحلاً له، فما كان من ذلك فيه حدٌّ شرعي، أقمناه على من فعله، وإلا عزرنا الفاعل بما يردعه وأمثاله عن ارتكاب المحرمات. وقد جرت المعاصي والكبائر في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يُكفِّروا بها، وهذا مما ردّ به أهل السُّنَّة والجماعة على الخوارج الذين يكفّرون بالذنوب)[(١)].

وأنكر الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله على من كفّر المسلمين بمطلق موالاة الكفار، وبيّن أنّ مناط التكفير بمظاهرة المشركين: موافقتهم على كفرهم وتحسين أفعالهم، فقال: (فإن المراد به موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم)[(٢)].

وأما مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، فقد سبق في المطلب الأول من هذا المبحث توضيح أن إمام الدعوة وأولاده وأحفاده لا يُكفّرون فيها إلا بالاستحلال، فإن لم يستحل الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله؛ بل حَكَم مع اعتقاد وجوب الحكم بما أنزل الله، فهو من جملة العصاة أصحاب الكبائر، ولا تسقط ولايته بذلك.

وأئمة الدعوة أيضاً لا يعتبرون الترخيص في إنشاء البنوك الربوية استحلالاً للربا؛ لأن الاستحلال لا بد فيه من التصريح والنطق؛ بل يرون

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٣٠٧).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٥٨).

ذلك من جملة المعاصي والذنوب كأكل الربا سواء، ولذلك فهم لا يُجوّزون الخروج على الدولة بوجود البنوك الربوية، ولا بالترخيص لها وحمايتها؛ لأنه من جملة الذنوب والمعاصي، ما لم يُعتقد حلّه، والاستحلال لا يكون بمجرد الفعل؛ بل لا بد من القول لأنه أمرٌ اعتقادي لا يُطّلع عليه إلا بالتصريح.

سُئل الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ سؤالاً هذا نصه: هل وجود البنوك الربوية في البلاد دليل على استحلال الربا واستباحته؟

فأجاب: (أكل الربا لا يدل على استباحة الربا، أكل الربا كبيرة من كبائر الذنوب، والتعامل بالربا كبيرة، وموبقة من الموبقات، لكن لا يدل هذا على كفر المرابي، إلا إذا استحله ولو لم يأخذه، إذا قال: الربا حلال، فهو كافر، ولو لم يأخذ الربا، فإذا جمع بين الجريمتين، وقال: الربا حلال وأخذه، فهاتان جريمتان ـ والعياذ بالله ـ: أكله كبيرة وفسق، واستحلاله كفر)[(١)].

وأما الانضمام إلى المنظمات الدولية فموقف علماء الدعوة منها موقفهم من المعاهدات مع الكفار، وأن الانضمام إليها سائغٌ بشرط عدم التزام ما يخالف الشرع.

وقد سُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالاً جاء فيه: بعض الناس يقول: إن الانضمام إلى الأمم المتحدة تحاكم أيضاً إلى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهل هذا صحيح؟

فأجاب: (هذا ليس بصحيح، فكلٌّ يحكم في بلده بما يقتضيه النظام عنده، فأهل الإسلام يحتكمون إلى الكتاب والسُّنَّة، وغيرهم إلى قوانينهم، ولا تُجبر الأمم المتحدة أحداً أن يحكم بغير ما يحكم به في بلاده، وليس الانضمام إليها إلا من باب المعاهدات التي تقع بين

---

(١) «الإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة» (ص٥٦).

المسلمين والكفار)[١].

وأما دخول المجالس النيابية في الدول التي تتحاكم إلى القوانين الوضعية بنية الإصلاح ودفع المفاسد، فقد جوّزه علماء الدعوة، ومنهم من أوجبه.

وقد سُئل الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ سؤالاً هذا نصه: ما حكم الانتخابات الموجودة عندنا في الكويت، علماً بأن أغلب من دخلها من الإسلاميين ورجال الدعوة فُتنوا في دينهم؟

فأجاب: (أنا أرى أن الانتخابات واجبة، يجب أن نُعيّن من نرى أن فيه خيراً؛ لأنه إذا تقاعس أهل الخير من يحل محلهم؟ أهل الشر، أو الناس السلبيون الذين ليس عندهم لا خير ولا شر، أتباع كل ناعق، فلا بد أن نختار من نراه صالحاً، فإذا قال قائل: اخترنا واحداً لكن أغلب المجلس على خلاف ذلك، نقول: لا بأس، هذا الواحد إذا جعل الله فيه بركة، وألقى كلمة حق في هذا المجلس سيكون لها تأثير ولا بد، ولكن ينقصنا الصدق مع الله، نعتمد على الأمور المادية الحسية، ولا ننظر إلى كلمة الله عَزَّوَجَلَّ... فأقول: حتى لو فرض أن مجلس البرلمان ليس فيه إلا عدد قليل من أهل الحق والصواب سينفعون، لكن عليهم أن يصدقوا الله عَزَّوَجَلَّ، أما القول: أن البرلمان لا يجوز ولا مشاركة الفاسقين، ولا الجلوس معهم، هل نجلس معهم لنوافقهم؟ نجلس معهم لنبين لهم الصواب)[٢].

وسُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء سؤالاً هذا نصه: هل يجوز التصويت في الانتخابات والترشيح لها؟ مع العلم أن بلادنا تحكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) مجلة «الدعوة» العدد ١٦٠٨ بتاريخ ١٠/٥/١٤١٨هـ.

(٢) تسجيل صوتي موجود على الشبكة العنكبوتية على موقع يوتيوب: https://www.youtube.com بعنوان (حكم الانتخابات لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين).

فأجابت: (لا يجوز للمسلم أن يُرشح نفسه رجاء أن ينتظم في سلك حكومة تحكم بغير ما أنزل الله، وتعمل بغير شريعة الإسلام، فلا يجوز لمسلم أن ينتخبه أو غيره ممن يعملون في هذه الحكومة. إلا إذا كان من رشّح نفسه من المسلمين، ومن ينتخبون يرجون بالدخول في ذلك أن يصلوا بذلك إلى تحويل الحكم إلى العمل بشريعة الإسلام، واتخذوا ذلك وسيلة إلى التغلب على نظام الحكم، على ألا يعمل من رشّح نفسه بعد تمام الدخول إلا في مناصب لا تتنافى مع الشريعة الإسلامية)[١].

وأما تجنّس المسلم بجنسية دولة كافرة، فقد أفتى علماء الدعوة بتحريمه، لكونه وسيلة إلى موافقتهم، وذريعة إلى ذلك، لكنه ليس كفراً بمجرده، حتى يوافقهم على كفرهم ويرضى بدينهم أو يعينهم عليه، أما بدون شيء من ذلك فهو محرمٌ لا كفر.

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصه: (لا يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة؛ لأن ذلك وسيلة إلى موالاتهم والموافقة على ما هم عليه من الباطل، أما الإقامة بدون أخذ الجنسية، فالأصل فيها: المنع؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٨] الآية، ولقول النبي ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين**»، ولأحاديث أخرى في ذلك، ولإجماع المسلمين على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام مع الاستطاعة، لكن من أقام من أهل العلم والبصيرة في الدين بين المشركين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم إليه، فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة في دينه وكان يرجو التأثير فيهم وهدايتهم)[٢].

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» المجموعة الأولى، المجلد الأول، فتوى رقم (٤٠٢٩)، (٤٠٦/٢٣).

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» المجموعة الأولى، فتوى رقم (٢٣٩٣)، (١٠٩/٢).

المطلب الثالث

استحلال دماء المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً

هذا الأصل من أعظم آثار الخوارج السيئة على المسلمين عبر التاريخ، وبذلك وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان**»[(١)].

وقال قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو يخاطب الخوارج في أوّل خروجهم على علي رضي الله عنه، بعد أن قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنه وبقروا بطن جاريته: (فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر؛ تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين، وتعدُّونهم مشركين)[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (والخوارج المارقون الذين يدَّعون أن عثمان وعليًّا ومن والاهما كفار بالقرآن الذي جاء به الرسول، ويستحلون دماء المسلمين بهذا الضلال، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتالهم، وأخبر بما سيكون منهم)[(٣)].

وقال أيضاً عن الخوارج: (الخارجين عن السُّنَّة، الذين يستحلّون دماء أهل القبلة مطلقاً؛ كالحرورية الذين قتلهم علي رضي الله عنه)[(٤)].

وقال: (الخوارج يبتدعون بدعة، ويُكفِّرون من خالفهم، ويستحلّون دمه)[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وقوله: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾، برقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم، برقم (١٠٦٤) واللفظ له.

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢٠).

(٣) «الردّ على الأخنائي» (ص٦٥).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٥٠).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٩٦).

وقال: (الفساد الظاهر كان في الخوارج: من سفك الدماء وأخذ الأموال والخروج بالسيف؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم، والأحاديث في ذمّهم والأمر بقتالهم كثيرة جداً، وهي متواترة عند أهل الحديث، مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض)[١].

وقصصهم في ذلك لا تُعدّ ولا تُحصى، قد امتلأت بها كتب التاريخ، وقد ذكر أبو العباس المبرد في كتابه «الكامل في اللغة والأدب»[٢] عن الخوارج أنهم لما انصرفوا من بعض وقائعهم لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها.

وإذا كان هؤلاء الأشقياء قد استباحوا دماء أفضل الناس وأتقاهم في وقته؛ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكيف بمن دونه!

وهذا هو واقع الخوارج المعاصرين؛ جماعات الغلو والتكفير، فكم سالت على أيديهم من دماء، عبر التفجيرات والتفخيخات، وعبر القتل المباشر بالذبح وغيره، كما يجري الآن في العراق وسوريا وليبيا ونيجيريا على أيدي الدواعش و«القاعدة»، كما سالت من قبلُ في مصر والجزائر واليمن وغيرها من البلدان التي طالتها أيديهم.

وكان أبو قتادة الفلسطيني[٣] من أكبر المنظّرين لقتل المسلمين في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٦). (٢) (٣/ ٢٤٤).

(٣) اسمه: عمر محمود عثمان، فلسطيني الأصل، ولد سنة ١٩٦٠م، بدأ حياته الفكرية مع جماعة التبليغ، ثم تأثر بالأفكار التكفيرية الجهادية، وسافر إلى أفغانستان، ثم رحل إلى الكويت ومنها إلى بريطانيا سنة ١٩٩٣م، ومارس نشاطه الفكري من هناك، وكان له دور بارز في تأجيج الصراع في الجزائر، وصار مفتياً لتنظيم «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» في الجزائر، وله عدة فتاوى دموية تبيح قتل النساء والأطفال والشيوخ، وبعد تفجيرات بريطانيا سنة ٢٠٠٥م صار رهن الاعتقال، وبقي كذلك حتى تم ترحيله إلى الأردن سنة ٢٠١٣م لقضاء حكم سابق عليه، ثم أفرج عنه سنة ٢٠١٤م.

الجزائر رجالاً ونساءً وأطفالاً، وكان يقول بجواز قتل الذرية والنسوان درءًا لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان[(١)].

بل إنه حثّ على قتل الوالدين إن لم يلتزما أحكام هذه الجماعات التكفيرية، ومدح فاعل ذلك، فقال معلقاً على قيام بعض أفراد «الجماعة الإسلامية المسلحة» في الجزائر بقتل والديه، ومباركاً هذا الفعل: (لقد وصل أفراد الجماعة الإسلامية إلى درجة نحمد الله عليها بالبراءة من المرتدين وأعوانهم، حتى ولو كانوا آباءهم، بسبب فهمهم لعقيدة السلف، والتشبه بسيرة الصحابة، ففي بوقرة قام شابٌّ من أفراد الجماعة بتطبيق حكم الله في والديه، بعدما رفضا حُكْم الله؛ وذلك بقبولهما تزويج أخته إلى رجل مليشي)[(٢)].

وقد تنوعت مثل الأحداث وكثر وقوعها في هذه الأيام، لا سيما بعد ظهور ما يُعرف بتنظيم «الدولة الإسلامية» والمعروف بـ«داعش»، فقام بعض أفرادهم بقتل أقاربهم استجابة للخليفة الداعشي، وإعلاناً للبراءة ممن يزعمونهم مرتدين!

قال سيد إمام مشرعاً قتل النساء والذرية: (إذا لم يمكن قتل الكافر ـ ويعني به المرتدين من الجيش والشرطة ـ إلا بقتل من معه من النساء والولدان، هل يجوز أم لا؟ الجواب: يجوز قتلهم وإن لم يقاتلوا أو يُعينوا)[(٣)].

وهم يتذرّعون في استهانتهم بدماء المسلمين الأبرياء بمسألة

---

(١) مقال بعنوان «جواز قتل الذرية والنسوان درءًا لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان» في مجلة الأنصار، العدد ٩٠، ص١٠، بتاريخ ٢٩ شوال ١٤١٥هـ، وانظر كتاب «تخليص العباد من وحشية أبي القتاد» لعبد المالك الرمضاني (ص٢٤٨ ـ ص٢٩٦).

(٢) مقال بعنوان «هكذا فليكن الجهاد» منشور في مجلة الأنصار، العدد (١٤٧)، بتاريخ ١٤ ذي الحجة ١٤١٦هـ، (ص٤).

(٣) «العمدة في إعداد العدة» (ص٣٤٦).

الترس، فيرون جواز قصد الجيش والشرطة أو الكفار أينما كانوا، حتى في حال اختلاطهم بعموم الناس من رجال ونساء وأطفال، ويقولون: نحن نقتلهم تبعاً لا قصداً، ومن هنا كثُر قيامهم بالقتل بالمفخخات في الأسواق، والمجمعات السكانية وغيرها من الأماكن العامة، ولهم تبريرات كثيرة في استباحة دماء المسلمين غير مسألة التترس.

قال فارس بن شويل الزهراني ـ أحد قادة تنظيم «القاعدة» في الجزيرة العربية ـ في بيان جواز التفخيخات: (فامضوا على بركة الله، ولا تلتفتوا إلى الوراء، واعلموا أن أعمال التفجيرات والكمائن هي من الأعمال المشروعة، سواء في دار الكفر الأصلي، أو في دار كفر الردّة كالسعودية والمغرب وباكستان، ومن فرّق بين ذلك فهو إما من الجاهلين، أو من علماء السلاطين)[(١)].

أما استباحتهم لدماء العسكريين بجميع فصائلهم، فكلامهم في ذلك أكثر من أن يُحصر؛ لأنهم أعوان الطواغيت ـ حسب أصولهم ـ!

قال سيد إمام محرضاً على قتل الحكام والعسكريين؛ بل والكتّاب والصحفيين وغيرهم: (ويدخل في هذا ـ أي: قتل المرتد ـ: المرتدون المحاربون لله ورسوله ﷺ، المجاهرون بعدواتهم للإسلام والمسلمين؛ كالحكام الطواغيت الحاكمين بغير شريعة الإسلام وجنودهم وأعوانهم من الكُتّاب والصحافيين وغيرهم في شتى بلدان المسلمين اليوم، فديارهم ديار حرب لحكمها بشرائع الكفر، وهؤلاء حكمهم حكم المرتد الممتنع بدار الحرب والتي لا يُؤاخذ فيها بجريمة الردة التي لا تُجرّمها القوانين الوضعية. فالمرتد في هذه البلاد يحتمي بقوانينها وبجنودها الموكلين بالدفاع عن هذه القوانين، فهو ممتنع بدار الحرب، ولهذا يجوز لكل أحدٍ من المسلمين قتل أمثال هؤلاء الذين استفاض العلم بكفرهم وتخطى

(١) «نصوص الفقهاء في حكم الإغارة والتترس» (ص٣ ـ ٤).

مرحلة الإثبات الشرعي، وهذا من الجهاد في سبيل الله تعالى)[١].

وإن العاقل إذا رأى كثرة ما استبيح من الدماء بأفعالهم الإجرامية ليتعجب أشد العجب من هذه الجرأة العظيمة على إراقة الدماء والاستهانة بحرمتها، حتى لكأنهم يفعلون ذلك سياسةً وقصداً لا تبعاً واضطراراً كما يزعم بعضهم، لكن قد يزول التعجب إذا عُلم أنّ هذه الاستهانة بالدماء هي بالفعل سياسة مقصودة ومنهج متبع، وليس بطريق التبع.

كيف ذلك؟

أقول: قد نص كاتب دستورهم الإجرامي «إدارة التوحش»[٢] على أن من أسباب فشل الحركات الثورية عبر التاريخ: التورع عن الدماء!

قال أبو بكر ناجي وهو يذكر التجارب الجهادية الثورية مستلاً منها الفوائد: (إن كتب التاريخ تحدثنا عن الفروق بين بعض الحركات الجهادية الإصلاحية، والصالحين من الطالبيين كالنفس الزكية وغيره وبين حركة العباسيين، **أن من ضمن الفروق وأسباب نجاح العباسيين وفشل الآخرين هو الشدة من العباسيين والرخاوة واتقاء الدماء من الآخرين،** حتى إن النفس الزكية كان يطلب من قادة جيشه ـ وقد كان يمكن أن ينتصر ـ أن يتقوا الدماء ما أمكن، وكان قادة جيشه يتعجبون كيف يطلب المُلك ويكون ذلك أسلوبه، نعم النفس الزكية وغيره من المصلحين على قدر من الصواب في ذلك! لكونهم يقاتلون مسلمين، وأحكام قتال البغاة

(١) «الجامع في طلب العلم الشريف» (٢/ ٥٧٢).

(٢) وهو كتاب صدر سنة ٢٠٠٤م، يشرح فيه مؤلفه الاستراتيجية العسكرية الجديدة لتنظيم «القاعدة»، مؤلفه أبو بكر ناجي، وهو اسم مستعار، وقد اختلف الجهاديون في مؤلف الكتاب، قيل: هو محمد خليل الحكايمة، وقيل: سيف العدل، وهو أحد القواد العسكريين في القاعدة، وهو ضابط مصري سابق اسمه محمد صلاح الدين زيدان، وقيل: كتبه مجموعة من المنظرين. ولخطورة الكتاب قامت وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون بترجمته إلى اللغة الإنجليزية وتوزيعه على القادة العسكريين، تحت اسم «إدارة الوحشية».

تختلف، إلا أننا ولله الحمد نواجه أهل الصليب وأعوانهم من المرتدين وجندهم، فلا مانع لدينا من إراقة دمائهم؛ بل نرى ذلك من أوجب الواجبات)[(١)].

وقال مستنفراً الأتباع، ومشجعاً لهم على الإسراف في القتل والتدمير: (إننا الآن في أوضاع شبيهة بالأوضاع بعد وفاة الرسول ﷺ وحدوث الردة، أو مثل ما كان عليه المؤمنون في بداية الجهاد، فنحتاج إلى الإثخان، ونحتاج إلى أعمال مثل ما تم القيام بها تجاه بني قريظة وغيرهم)[(٢)].

قلت: يعني بذلك قتل الرجال جميعهم وسبي النساء والذرية!!

ولتفعيل هذه السياسة المتهورة في إراقة الدماء فإنهم قاموا بترسيخ بعض القواعد الدموية في أذهان وعقيدة أتباعهم، مثل سياسة الانتقام للأصحاب والأخذ بالثأر.

قال أبو بكر ناجي في بيان سبيل تحقيق الشوكة: (عندما يعلم العدو أنه إذا كسر جزءًا من مجموعة سيستسلم الباقون، نستطيع أن نقول: إن هذه المجموعة لم تحقق الشوكة، وإنما إذا علم العدو أنه إذا قضى على جزء من المجموعة فسيبقى الثأر لدمائهم قائماً عند الباقين، وستبقى أهداف المجموعة قائمة حتى يفنوا عن آخرهم، تكون تلك المجموعة قد حققت الشوكة التي يخشاها العدو).

ثم أكد ذلك بقاعدة «الدم بالدم والهدم بالهدم» فقال: (ففي وجود موالاة إيمانية بين كل هذه المجموعات في عقد مكتوب بالدماء، أهم بنوده «الدم بالدم والهدم بالهدم» تتحقق شوكة كبرى يعجز العدو عن مواجهتها)[(٣)].

---

(١) «إدارة التوحش» (ص٣١).

(٢) «إدارة التوحش» (ص٣٢).

(٣) «إدارة التوحش» (ص٣٤).

فرع: موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل:

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها تُحرّم دم المسلم، وتعتقد أن قتل الأنفس البريئة من أعظم الذنوب عند الله.

وقد سبق نقل كلام أبناء الشيخ، وقولهم: (الذي نعتقده وندين الله به، أن من دان بالإسلام، وأطاع ربه فيما أمر، وانتهى عما نهى عنه وزجر، فهو المسلم حرام المال والدم، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، ولم نكفر أحداً دان بدين الإسلام، لكونه لم يدخل في دائرتنا، ولم يتسم بسمة دولتنا؛ بل لا نُكفِّر إلا من كفر الله ورسوله)[١].

ولما ظهرت جماعات الغلو والتكفير في بلاد المسلمين، وقاموا بحوادث كثيرة استباحوا بها دماء الأبرياء، انتدب علماء الدعوة الإصلاحية للردّ عليهم، والنكير على أفعالهم، وكلامهم في هذا الباب أكثر من أن يُحصر.

من ذلك ما جاء في بيان هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورته التاسعة والأربعين، بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ، حول ما يجري على أيدي جماعات الغلو والتكفير من التكفير والتفجير والتخريب، ما نصه: (ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصّة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرَّمة شرعًا بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغُدوِّهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرَّم انتهاكها، وشدّد في ذلك)[٢].

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٥٢).

(٢) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة» (ص١٨٩).

المطلب الرابع

استحلال دماء غير المسلمين المعصومة وعدم اعتبار العهود والمواثيق الدولية

مما ذُكِر في انحرافات الخوارج قديماً فوق استباحتهم دماء المسلمين بالذنوب، استباحتهم دماء من عصم الله دماءهم من أهل العهد والذمة من أهل الكتاب من يهود ونصارى وغيرهم، وعدم اعتبار العهود والمواثيق الدولية.

قال الشهرستاني: (واستحلَّ نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التقية، وحكم بالبراءة ممن حرّمها)[١].

وهذا ما مشى عليه الخوارج المعاصرون؛ جماعات الغلو والتكفير، حيث استباحوا دماء المعاهدين والمستأمنين المعصومة.

فبعد حرب الخليج الثانية التي قصفت فيها أمريكا العراق سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تكوَّن ما يُعرف بـ"الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين»، وكان أعضاءَ التأسيس:

«القاعدة»: ابن لادن وأصحابه.

تنظيما: «الجماعة الإسلامية» و«الجهاد» المصريتان، يمثلهما أيمن الظواهري ورفاعي طه (أبو ياسر).

«منظمة الجهاد» في بنغلادش، يمثلهم فضل الرحمٰن.

«جماعة العلماء» في باكستان، يمثلهم أمير حمزة.

وقد وقّع المؤسسون على نص البيان التأسيسي الذي نُشر في بعض وسائل الإعلام وكان فيه:

(١) «الملل والنحل» (١/١١٨).

(ونحن بناءً على ذلك وامتثالاً لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي:

إنَّ حُكْمَ قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين، فرضُ عينٍ على كل مسلم أمكنه ذلك، في كل بلد تيسر فيه، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم...

إننا بإذن الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله ويرغب في ثوابه إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك، كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم وجنودهم إلى شن الغارة على جنود الأمريكان، ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان، وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)[١].

وكان من نتائج هذه الجبهة الضالة التي يديرها تنظيم «القاعدة»: تفجير السفارة الأمريكية في نيروبي، وتفجير المدمرة كول في اليمن، وبعض التفجيرات في البلاد الإسلامية، ثم أحداث نيويورك، وما تبعها من تفجيرات في أماكن شتى، ولا يزال العالم وإلى اليوم يعاني من هذه الجماعة الخارجية.

وهؤلاء لا يحترمون العهود والمواثيق والأعراف الشرعية والدولية؛ بل هم أهل غدرٍ وخيانةٍ وغشٍّ باسم الإسلام زعموا.

والغدر والخيانة من صفات الخوارج القديمة.

قال ابن حزم: (يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة، وعمل المغيرية المنصورة في ذبح كل من أمكنهم وقتله، وأن يستحلوا أموال أهل الأرض؛ بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله؛ لأن جهاد الكفار فرض)[٢].

---

(١) منشور في جريدة القدس العربي بتاريخ ٢٣/٢/١٩٩٨م.

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣٦/٤).

وهو فعل معاصريهم، حيث يدخلون البلاد الآمنة، بطريق رسمي وعهد ضمني يقتضي التزام القوانين والعهود والأمن كالتأشيرات التي تُمنح لهم في بلاد الغرب، أو بمقتضى المواطنة أو بغير ذلك، ثم يغدرون، فيقتلون الآمنين، ويفسدون العمران، ويخربون المرافق العامة، كل ذلك باسم الجهاد المزعوم، ولا شك أن هذا من أعظم الغدر في الشرع[(١)].

وهم يعتبرون أن كل ما تصدره الدول الإسلامية من تأشيرات، والتي تعتبر في الشرع عقد أمان يُعصم بها دم الكافر وماله، باطلة لكونها صدرت من دولة كافرة مرتدة، وإذا حكموا ببطلان الأمان والعهد رجع الكافر عندهم إلى حكمه الأصلي، وهو المحاربة، وبهذا سوغوا قصد كل كافرٍ في بلاد المسلمين، على أي صفة كان على اعتبار كونه حربياً لم يثبت في حقه ما يحقن دمه.

قال سيد إمام في حق المستأمنين والمعاهدين: (أما إذا دخل أحد الكفار إلى بلاد المسلمين، والتي هي ديار كفر وردة اليوم، فإنه لا يدخلها إلا بعد حصوله على تأشيرة دخول «فيزا» من السلطة الحاكمة بهذه البلاد، وهذا لا يُعتبر أماناً له، يعصم دمه وماله بهذه البلاد؛ لصدور هذا الأمان من كافر مرتد، وهي السلطة الحاكمة المرتدة، التي ليست لها ولاية شرعية على المسلمين، وأمان الكافر للكافر غير مُلزم للمسلم)[(٢)].

وقال في حق الذميين من الكفار الذين يستوطنون بلاد المسلمين: (وبإسقاط الجزية عن أهل الكتاب، ومساواتهم بالمسلمين، بما يعني مخالفة الشروط العمرية، يكون عهدهم قد انتقض، وعادوا

(١) للمزيد انظر كتابي «كشف الشبهات في مسائل العهد والجهاد».
(٢) «الجامع في طلب العلم الشريف» (٢/ ٦٥٣).

كفاراً محاربين)[١].

وقال أيمن الظواهري في تقرير أن التأشيرة التي يُصدرها الكفار للمسلمين لدخول ديارهم، لا تعتبر أماناً من المسلم للكفار: (إن بعض العلماء المعاصرين[٢] أفتى بعدم اعتبار التأشيرة مانعاً من النكاية في أمريكا؛ كالشيخ ناصر الفهد، وعدد منهم قد رحّب وفرح بأحداث أمريكا وأثنى على من قاموا بها مع علمهم بالطريقة التي تمت بها)[٣].

فرع: موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل:

وأما الدعوة الإصلاحية فإنها تحرِّم الدماء المعصومة، وتعتقد أنّ من أكبر الكبائر قتل المعاهدين والمستأمنين من غير المسلمين[٤].

ومن ذلك أن جيوش الدولة السعودية الأولى لما دخلوا مكة، لم يريقوا فيها دماً معصوماً، ولم يُفسدوا، ولذلك كتب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة إلى علماء مكة، قال فيها: (ومن حين دخل الجند الحرم، وهم على كثرتهم مضبوطون، متأدبون، لم يعضدوا به شجراً، ولم ينفروا صيداً، ولم يريقوا دماً إلا دم الهدي، أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع)[٥].

وجاء في بيان مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣/ ٣/ ١٤٢٤هـ، بعدما استعرض حوادث التفجيرات التي وقعت في مدينة الرياض مساء يوم الاثنين ١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ، ما نصه: (ومن الأنفس المعصومة في الإسلام: أنفس

(١) «الجامع في طلب العلم الشريف» (٢/ ١٠٥٨).
(٢) قلت: مراده بالعلماء: علماء الفكر الخارجي، ولذلك مثّل بناصر الفهد.
(٣) «التبرئة» (ص٩٧).
(٤) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٣٨ ـ ٣٥٢).
(٥) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٢٢١).

المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهداً لم يَرَح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً**» أخرجه البخاري. ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي ﷺ: «**لم يَرَح رائحة الجنة**»، وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي ﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**». ولما أجارت أم هانئ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رجلاً مشركاً عام الفتح، وأراد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يقتله، ذهبت للنبي ﷺ فأخبرته فقال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» أخرجه البخاري ومسلم. والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: (لا يجوز قتل الكافر المستوطن أو الوافد المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم؛ بل يحالون فيما يحدث منهم من المنكرات للحكم الشرعي، وفيما تراه المحاكم الشرعية الكفاية... وإذا لم توجد محاكم شرعية؛ فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير، والتعاون معهم حتى يحكموا شرع الله، أما أن الآمر والناهي يمد يده فيقتل أو يضرب فلا يجوز)[(١)].

وقال أيضاً لما وقع التفجير الذي نفذته «القاعدة» في مدينة الرياض سنة ١٤١٦هـ، وقُتل فيه بعض المستأمنين: (لا شك أن هذا الحادث أثيم ومنكر عظيم يترتب عليه فساد عظيم وشرور كثيرة وظلم كبير، ولا شك أن هذا الحادث إنما يقوم به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، لا تجد من

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» (٨/ ٢٠٧).

يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً يعمل هذا العمل الإجرامي الخبيث الذي حصل به الضرر العظيم والفساد الكبير، إنما يفعل هذا الحادث وأشباهه نفوس خبيثة مملوءة من الحقد والحسد والشر والفساد وعدم الإيمان بالله ورسوله نسأل الله العافية والسلامة، ونسأل الله أن يعين ولاة الأمور على كل ما فيه العثور على هؤلاء والانتقام منهم؛ لأن جريمتهم عظيمة وفسادهم كبير ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف يُقدم مؤمن أو مسلم على جريمة عظيمة يترتب عليها ظلم كثير وفساد عظيم وإزهاق نفوس وجراحة آخرين بغير حق، كل هذا من الفساد العظيم وجريمة عظيمة، فنسأل الله أن يعثرهم ويسلط عليهم ويمكن منهم، ونسأل الله أن يخيبهم ويخيب أنصارهم، ونسأل الله أن يوفق ولاة الأمر للعثور عليهم والانتقام منهم ومجازاتهم على هذا الحدث الخبيث وهذا الإجرام العظيم)[(١)].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» (٩/ ٢٥٤).

المطلب الخامس

تكفير من خالفهم واعتبار ديارهم ديار إسلام وديار غيرهم ديار كفرٍ وحرب

الخوارج لم يكتفوا بالتكفير بمجرد الذنوب والمعاصي، أو بما يظنونه ذنباً؛ بل يُكفّرون كل من خالفهم لمجرد المخالفة، فإنهم لا يرون أحداً على الإسلام إلا هم، وما عداهم فليس بمسلم ما لم يكن موافقاً لهم ومؤيداً؛ لأنهم يعتبرون مخالفهم مخالفاً للإسلام، ومحاربهم محارباً للإسلام، لكونهم يحصرون الإسلام فيهم.

وقد ترتّب على هذا اعتبارُ ديار المخالفين لهم ديارَ كفر وحرب، ومن هنا أوجبوا الهجرة إليهم، وعدّوا من تخلف عن الهجرة إليهم موالياً لمخالفيهم من الكفار، فأوجبوا تكفيره.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ: (واختلفوا هل الدار دارُ إيمان أم لا؟ فقال أكثر المعتزلة والمرجئة: الدار دار إيمان، وقالت الخوارج من الأزارقة والصفرية: هي دار كفر وشرك)[(١)].

وقال أيضاً: (وأوّل من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي، والذي أحدثه البراءة من القَعَدَة، والمحنة لمن قَصَدَ عسكره، وإكفارُ من لم يهاجر إليه)[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (الخوارج تميزوا بالإمام والجماعة والدار، وسموا دارهم دار الهجرة، وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب)[(٣)].

وقال أيضاً: (الخوارج ترى السيف، وحروبهم مع الجماعة

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (٢/ ١٥٤).
(٢) «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٩٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٥).

مشهورة، وعندهم كلُّ دارٍ غير دارهم فهي دار كفر)[١].

وقال الإباضية، وهي من أخف فِرق الخوارج: (إن مخالفينا من أهل القبلة كفارٌ غير مشركين)[٢].

وهذا هو واقعهم اليوم، لا سيما بعد ظهور تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» وسيطرته على أجزاء واسعة من سوريا والعراق، فإنهم لما صارت لهم دولة على الأرض، ولو صورية، أظهروا معتقد الخوارج القديم فحَكَموا على مخالفيهم بالكفر.

ويظهر هذا جليّاً في تكفيرهم لإخوانهم في العقيدة والمنهج؛ «القاعدة» و«جبهة النصرة»، بمجرد مخالفتهم وعدم الدخول تحت ولايتهم وطاعتهم، فلما لم يهاجروا إليهم، ويدخلوا في طاعة خليفتهم، حكموا عليهم بالكفر، محتجين بقوله ﷺ: **«لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث؛ الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[٣].

فعدّوا استقلالهم عنهم، والامتناع من الدخول في طاعتهم، مفارقةً للجماعة، وتركاً للدين، فضلاً عن تكفيرهم بموالاة المرتدين، ويعنون بالمرتدين: الجماعات المقاتلة في سوريا.

فإذا كان هذا حكمهم في إخوانهم في العقيدة والمنهج، فكيف بعموم المسلمين؟!

وجاء في بيان ما يُعرف عند تنظيم الدولة الإسلامية بـ«الهيئة

---

(١) «منهاج السُّنَّة النبوية» (٣/ ٢٦٩).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (ص١٣٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، برقم (٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به من دم المسلم، برقم (٤٤٦٨).

الشرعية للدولة الإسلامية» حول تكوين بعض الفصائل المقاتلة في سوريا بما يُعرف بـ«الجبهة الإسلامية» ما نصه: (إن أمراء ما يُسمى بالجبهة الإسلامية قد تلبسوا بمناطات كفرية قبل إنشاء جبهتهم وبعدها)[(١)].

ومما جاء في البيان أيضاً: (فإذا تقررت ردّة أمراء ما يُعرف بالجبهة الإسلامية؛ كأبي عيسى الشيخ رئيس مجلس الشورى، وزهران علوش القائد العسكري، وحسان عبود رئيس الهيئة السياسية، بما تقدم من مناطات كفرية؛ كتولي المرتدين والكفار، وتصحيح مذهبهم وغير ذلك، فلْيُعلم أن كل من التحق بهؤلاء المرتدين بعد العلم بحالهم، وقاتل تحت رايتهم، فحكمه حكمهم، سواء بسواء)[(٢)].

وجاء على لسان أبي محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية» قوله: (هذا وإن الدولة الإسلامية في العراق والشام تعلن أن الائتلاف والمجلس الوطني مع هيئة الأركان والمجلس العسكري طائفة ردة وكفر. وقد أعلنوا حرباً ضد الدولة وبدؤوها، لذا فكل من ينتمي لهذا الكيان هو هدف مشروع لنا في كل مكان، مالم يُعلن على الملأ تبرأه من هذه الطائفة وقتال المجاهدين)[(٣)].

بل إنهم فتحوا مكاتب خاصة أسموها «مكاتب التوبات»، ووزعوا أوراق «الاستتابة»، ولا يقبلون من أحدٍ حتى يتوب على طريقة الخوارج،

---

(١) بيان الهيئة الشرعية للدولة الإسلامية حول تكفير الجبهة الإسلامية الصادر في الأربعاء ١٦ جمادى الآخر ١٤٣٥هـ. (انظر: العلامات الفارقة في كشف دين المارقة د. مظهر الويس ص٧٠).

(٢) بيان الهيئة الشرعية للدولة الإسلامية حول تكفير الجبهة الإسلامية الصادر في الأربعاء ١٦ جمادى الآخر ١٤٣٥هـ. (انظر: العلامات الفارقة في كشف دين المارقة د. مظهر الويس ص٧٠).

(٣) بيان صوتي ومفرغ بعنوان «الرائد لا يكذب أهله» منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية:
http://al-adneni.blogspot.com

فيقرّ على نفسه بالردة والكفر، وتكفير كل من تكفّره الدولة، ولا يقبلون في ذلك وساطة ولا تورية[١].

ولما حكموا على دولتهم بالإسلام، وعلى غيرها بالكفر، أوجبوا الهجرة إليهم، لا سيما بعد تلقيب دولتهم المزعومة بالخلافة، متأسّين بأسلافهم القدماء.

قال أبو بكر البغدادي، خليفة تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» في تسجيل صوتي: (هلموا إلى دولتكم أيها المسلمون... فيا أيها المسلمون في كل مكان، من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر، فإن الهجرة إلى دار الإسلام هي واجبة)[٢].

وقال الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية» أبو محمد العدناني: (فأبشروا أيها المسلمون، فهذا باب جديد فتحه الله ﷻ لتهاجروا إلى دار الإسلام... فهلمّوا أيها المسلمون إلى دولتكم، فإنا نستنفركم للجهاد، ونحرضكم وندعوكم للهجرة إلى إخوانكم... هلمّوا أيها المسلمون إلى أرض الخلافة، فلأن تكون راعي ضأن في دار الإسلام خير لك من أن تكون سيداً مطاعاً في دار الكفر، فهنا تحقَّقَ التوحيدُ، هنا تجسَّدَ الولاءُ والبراءُ)[٣].

---

(١) العلامات الفارقة في كشف دين المارقة د. مظهر الويس (ص٧٦).

(٢) شريط صوتي منشور في الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١/ ٧/ ٢٠١٤ بعنوان «هلموا إلى دولتكم أيها المسلمون»، انظر:
http://tune.pk/video

(٣) بيان صوتي ومفرغ باسم «فيقتلون ويُقتلون»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية:
http://al-adneni.blogspot.com

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها ترى أنّ بلاد المسلمين دار إسلام، ولا يُكفّرون من خالفهم؛ بل الأصل عندهم في المسلمين الإسلام، حتى يثبت خلافه.

ودار الكفر عند أئمة الدعوة هي البلدة التي يظهر فيها الشرك بالله ويفشو، ويصرّ أهلها عليه، وليست تحت ملك وحكم المسلمين.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الدّار داران: دار إسلام ودار كفر، فدار الإسلام هي التي تجري أحكام الإسلام فيها وإن لم يكن أهلها مسلمين، وغيرها دار كفر)[(١)].

وقال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجماع الأمر: أنه إذا ظهر في بلد دعاء غير الله وتوابع ذلك، واستمر أهلها عليه، وقاتلوا عليه، وتقررت عندهم عداوة أهل التوحيد، وأبوا عن الانقياد للدين، فكيف لا يُحكم عليها بأنها بلد كفر؟)[(٢)].

فأئمة الدعوة الإصلاحية لا يحكمون على بلاد المسلمين بأنها دار كفر كما يصنعه أئمة جماعات الغلو والتكفير؛ بل يرون أن كل بلدة ظهرت فيها شعائر الإسلام حتى غلب عليها فإنها دار إسلام.

وقد أكّد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ براءة الإمام محمد بن عبد الوهاب من اعتبار بلاد المسلمين دار كفر، فقال: (وما رأيت شيخ الإسلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين إلى الإسلام أنها بلد كفر، ولكنه قرر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٦٥٥).

(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٦٣).

والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل، على أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات، هو دين المشركين وفعل الجاهلية الضالين من الأميين والكتابيين، فظنَّ هذا أن لازم قوله أنه يحكم على هذه البلاد أنها بلاد كفر، وهذا ليس بلازم، ولو لزم، فلازم المذهب ليس بمذهب)[(١)].

وبيّن الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ أن ردة الولاة لا تستلزم الحكم على الدار بالكفر، فقال: (وكون الولاة مرتدين عن الدين، بتوليهم الكفار، وهم مع ذلك لا يُجرون أحكام الكفر في بلادهم، ولا يمنعون من إظهار شعائر الإسلام، فالبلد حينئذ بلد إسلام، لعدم إجراء أحكام الكفر)[(٢)].

وقد أنكر أئمة الدعوة على من اتهم الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنه يرى أن بلاد الحرمين دار كفر، فقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: (قال المعترض: وذلك لجعله بلاد الحرمين من بلاد الكفار. . .

والجواب أن يُقال: هذه كتب الشيخ ـ يعني: الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ، وهذه تصانيفه ورسائله؛ أي: كتاب، وأي فتوى، وأي ناقل يُعتدّ به نَقَل عنه أن بلاد الحرمين بلاد كفر!؟)[(٣)].

وقرر أئمة الدعوة أن وجود بعض مظاهر الشرك في بلد من البلاد لا يستلزم الحكم عليها بالكفر، إذا وُجد فيها من يقوم بالتوحيد ويُظهره، ويُنكر على أهل الشرك شركهم.

سُئل الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: إذا كان في البلدة وثن يُدعى من دون الله، ولم يُنكر، هل يقال هذه بلدة كفر؟ أو بلدة إسلام؟

(١) «مصباح الظلام» (ص٥٣).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٨/ ٤٩١).
(٣) «مصباح الظلام» (ص٨٣).

فأجاب: (لا ينبغي الجزم بأحد الأمرين، لاحتمال أن يكون في البلد جماعة على الإسلام مظهرين ذلك، فإن هذه الدعوة التي ظهرت بنجد، ومكنها الله بالجزيرة، قد قبلها أناس، كما بلغنا عن الأفغان، والصومال، أن في كل منهما طائفة تدين بالتوحيد، وتظهره، وقد يكون غيرهم كذلك؛ لأن هذه الدعوة قد شاعت في كل بلاد، وقرؤوا مصنفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فيما أجاب من عارضه، وقد بلغنا من ذلك عن بعض أهل الأقاليم، ما يوجب التوقف)[1].

وقد أكّد الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً أن وجود مظاهر الشرك في غالب البلدان الإسلامية اليوم؛ كالأضرحة والمقامات، لا يستلزم الحكم عليها بأنها بلاد شرك؛ بل بيّن أنها تُسمّى بلاداً إسلامية لأن الغالب عليها أن أهلها مسلمون[2].

وسَبَق النقل عن الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد العثيمين رحمهما الله اعتبار الكويت والجزائر بلاداً إسلامية[3].

ولم يوجب أئمة الدعوة على الناس أن يهاجروا من بلادهم وأوطانهم إذا كانوا عاملين بالتوحيد، مجتنبين للشرك، لا يُمنعون من إظهار ذلك، فضلاً عن أن يوجبوا على الناس أن يُهاجروا إليهم.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الأفغانيون الذين جاؤونا فبلغنا أنهم يرون رأي الخوارج، معهم غلو... وعلى كل حال، إذا عملتم بالتوحيد، وأنكرتم الشرك والضلال، وفارقتم أهل البدع، فلا

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٥٤).
(٢) شريط مسجل في شرح كتاب البيوع من «بلوغ المرام»، شريط رقم ٢، السلفية مجلة التوحيد والسُّنَّة (ص١٤).
(٣) انظر: (ص٦٨ ـ ٦٩).

يلزمكم هجرة عن الوطن والمال؛ بل يجب عليكم الدعوة إلى الله، وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله).

وقال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله تعالى: (من زعم أنا نُكفّر الناس بالعموم، أو نوجب الهجرة إلينا على من قَدَر على إظهار دينه ببلده، فقد كذب وافترى)[١].



(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٢٥٢).

المطلب السادس

الطعن في العلماء والوقيعة فيهم

من أصول الخوارج المتقدمين وقيعتهم في العلماء والطعن فيهم، واتهامهم بالباطل، والزهد في علومهم، وعدم اعتبارهم ولا الرجوع إليهم، الأمر الذي آل بهم إلى الاعتداد بالنفس، والاستناد إلى الجهل المركّب الذي قادهم إلى الضلالات والانحرافات.

وأوّل ما وقع من ذلك طعنهم في الصحابة ﵃؛ بل وتضليلهم وتكفيرهم.

وقد انتبه ابن عباس ﵄ إلى أن أصل فتنة هؤلاء الخوارج هو عدم اعتبار فهم العلماء والأئمة، وهم الصحابة آنذاك، فقال لهم في محاورته لهم بعد انحيازهم عن جيش علي ﵁:

(أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد)[(١)].

فبيَّن لهم ابن عباس ﵄ الأصل الذي ضلُّوا بتركه لعلهم يرجعون، وهو مخالفتهم لمن هم أعلم وأتقى لله منهم، مؤكداً أن المصير إلى فهم هؤلاء العلماء والأئمة متعيِّن.

وقال ابن تيمية ﵀: (فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون،

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب قتال أهل البغي، (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب لا يبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا ما نقموا ثم يؤمروا بالعود ثم يؤذنوا بالحرب، (٨/ ١٧٩).

وهذا مأخذ الخارجين عن السُّنَّة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدُّون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها، فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة)[(١)].

وهذا هو عين ما تفعله جماعات الغلو والتكفير اليوم من الطعن في العلماء واتهامهم بالعمالة والخيانة؛ بل والحكم على بعضهم بالردّة والمروق من دين الإسلام.

فأبو محمد المقدسي مثلاً يتهم العلماء: عبد العزيز بن باز والألباني والعثيمين بالبلاهة والإعراض عن أحكام الشرع ويصف كلامهم بالهراء![(٢)].

وقال في موضع: (ونعتقد أن العالم إذا بايع الطاغوت المشرّع، أو الحاكم الكافر، فأعطاه صفقة يمينه وثمرة فؤاده، أو نصره وتولاه ودار معه في الفتوى حيث دار، بأنه كافرٌ مرتد)[(٣)].

ومعلوم أن المقدسي يُكفّر جميع الحكام بلا استثناء، فكلامه السابق يُنزّل على جميع العلماء الذين يرون إمامة حكام المسلمين ويدينون بطاعتهم!

وقال ابن لادن: (فإذا قامت الضحية لتنتقم لأولئك الأطفال الأبرياء في فلسطين والعراق وجنوب السودان والصومال، وفي كشمير، وفي الفلبين، قام علماء السلاطين وقام المنافقون يدافعون عن الكفر الظاهر ـ حسبي الله عليهم أجمعين ـ فالعوام قد فقهوا المسألة، وهؤلاء مازالوا يجاملون هؤلاء الذين تواطؤوا مع الكفار على تخدير الأمة عن القيام بواجب الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا)[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٧).
(٢) «الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير» (ص١٢).
(٣) «هذه عقيدتنا» (ص٣٢).
(٤) قاله في برنامج «أولى حروب القرن» بتاريخ ٠٣/ ١١/ ٢٠٠١م.

وقد وجّه خطاباً إلى الشيخ عبد العزيز بن باز بتاريخ ٢٧/ ٠٧/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٤م، يقول فيه: (ونحن سنذكركم فضيلة الشيخ ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالاً، مع أنها قد تهوي بها الأمة سبعين خريفاً في الضلال)[(١)].

ووصف أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بـ(هيئة كبار المنافقين والعملاء)، و(هيئة كبار الشياطين)، وسماهم (سحرة)[(٢)].

وقال مأمون حاتم[(٣)] في تغريدة له على حسابه في تويتر بتاريخ ١٩/ ٨/ ٢٠١٤: (الذي أدين الله به أنّ المفتي العام لآل سعود المسمّى آل الشيخ كافر مرتد عن الدين، وأنه وأمثاله حربٌ على الأمّة والملة).

وكلامهم في هذا كثير مشهور مستفيض في كتاباتهم في وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال مقالاتهم في الشبكة العنكبوتية، وعبر أشرطتهم المرئية والمسموعة المنشورة.

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها تعتقد وجوب احترام العلماء، ووجوب الرجوع إليهم والصدور عن فتاواهم، وترى أنّ العزوف عن العلماء من أكبر أسباب الانحراف.

قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله: (ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين: اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء

---

(١) وُزّع حينها في منشورات في المملكة العربية السعودية، ونُشر في الشبكة العنكبوتية.

(٢) بيان صوتي منشور في موقع اليوتيوب بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٥ بعنوان «رسالة العدناني لأبناء الحرمين».

(٣) وهو من منظّري تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في اليمن.

الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع، والعلماء هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان، فلا يتلقى العلم إلا عنهم، فمن زهد في الأخذ عنهم، ولم يقبل ما نقلوه، فقد زهد في ميراث سيد المرسلين، واعتاض عنه بأقوال الجهلة الخابطين، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة. والعلماء هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف، أخذ الدين عن أهله، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)[(١)].

وأنكر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من اتهم العلماء بمداهنة الحكام في دعوتهم إلى السمع والطاعة للحكام، وعدم نزع اليد من طاعتهم، فقال: (وقد بلغني عن بعض من غره الغرور، من الطعن في العلماء، ورميهم بالمداهنة، وأشباه هذه الأقاويل، التي صدت أكثر الخلق عن دين الله، وزين لهم الشيطان بسبب ذلك، الطعن في الولاية بأمور، حقيقتها البهتان، والطعن بالباطل؛ وقد علمتم ما جاء به رسول الله ﷺ وفرضه من السمع والطاعة)[(٢)].

ولما ظهر من بعض الغلاة الطعن في العلماء، ورميهم بالمداهنة والتزلّف للحكام، كتب كل من الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ـ رحمهم الله ـ رسالة يُحذرون فيها من هذا المنزلق الخطير، جاء فيها: (فالواجب على طالب الحق إذا أشكل عليه شيء سؤال العلماء، والرجوع إليهم في الأحكام الشرعية... ومما ينبغي التنبيه عليه: ما وقع من كثير من الجهلة، من اتهام أهل العلم والدين، بالمداهنة والتقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٣٣).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٩١).

سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه، ولم يدر هؤلاء الجهلة: أن اغتياب أهل العلم والدين، والتفكّه بأعراض المؤمنين، سم قاتل، وداء دفين، وإثم واضح مبين)[1].

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١١٣).

المطلب السابع

مفارقة جماعة المسلمين والخروج على أئمتهم

الخوارج أوّلُ من فارق جماعة المسلمين، واستقلوا عنهم، فأوائلهم فارقوا جيش علي ﵁، فلا يرون لزوم الجماعة أصلاً من أصول الإسلام؛ بل يدينون بالفُرْقة والخلاف.

وهم لا يزالون على هذه الصفة قديماً وحديثاً أهل فُرقة وخلاف وشقاق ونزاع، لا يألون جهداً في تفريق كلمة المسلمين، والخروج على أئمتهم، والتحريض على ذلك.

وبذلك وَصفهم النبي ﷺ، فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة في فُرْقة من الناس، فَيَلِي قتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[1].

فخرجوا عن جماعة المسلمين، وانفصلوا عن جيش علي ﵁، حتى قاتلهم في معركة النهروان.

قال ابن كثير ﵀: (إن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين... فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات، والله المسؤول أن يعصمنا منه

(١) (٣/ ١١٣).

بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات)[١].

وعلى هذا سارت جماعات الغلو والتكفير، فإنهم لا يرون طاعة الأئمة، ولا يُقرّون بوجوب السمع والطاعة التي جاءت بها الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ؛ بل يسعون في الثورة والخروج على الأئمة والحكام والتأليب عليهم.

وقد ألّف سيد إمام كتاب «العمدة في إعداد العدة» لهذا الغرض، وهو أول كتاب لجماعات الغلو والتكفير كُتِب في مجال التدريب العسكري والتربية الإيمانية والتأصيلية في قضايا تكفير الحكومات بالأدلة، ويُعدّ من أوائل الكتب وأهمها، وكان يُدرّس في معسكرات «القاعدة» في أفغانستان.

وقد قال أبو مصعب السوري عن هذا الكتاب بالخصوص: (وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عدداً من الأبحاث الهامة، وتوجت ذلك بالكتاب القيم «العمدة في إعداد العدة» لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره، وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب «الأفغان العرب»، وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية حينها، وبقي واحداً من أهم كتب التيار الجهادي)[٢].

وقد حكم سيد إمام في كتابه هذا على جميع الحكومات الإسلامية بالردة، وأوجب جهادها، ثم قال مبيناً سبب تأليفه للكتاب: (وأما الكلام على الإنكار باليد لهذه القوانين الكافرة، ولمن يعمل بها ويحميها، فهو الموضوع الأساسي لهذه الرسالة، وهو التدريب العسكري)[٣].

وقال في كتابه المشار إليه مبيناً حكم التدريب العسكري لجهاد

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/٣١٦ ـ ٣١٧).

(٢) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص٧١٨).

(٣) «العمدة في إعداد العدة» (ص١٠٤).

الحكومات المرتدة: (والخلاصة: على من يجب التدريب العسكري؟ يجب على كل مسلم بلغ الخامسة عشرة من عمره... ومعنى هذا أننا جعلنا التدريب فرض عين على المسلمين، فيسقط اعتبار الحرية والذكورية وإذن الوالدين، وإذن الدائن)[١].

فهم يقررون وجوب التدريب العسكري لجهاد الحكومات الإسلامية بدون استثناء، وهو عين ما أفرزته معسكرات أفغانستان، وقد جر هذا التأصيل الفكري في أذهان الشباب على المسلمين ويلات كثيرة.

ولتطبيق ما تلقوه من تربية فكرية وتدريب عسكري، لتحقيق مفارقة الجماعة بالخروج والثورة، كتبوا كتابات متعددة في بيان الخطط العسكرية التي يمكن تطبيقها على أرض الواقع، مع دراسة التجارب الماضية للحركات الجهادية.

من أخطر هذه الكتب: كتاب «إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي، والذي قسّم فيه مراحل التمكين إلى ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة شوكة النكاية والإنهاك.

الثانية: مرحلة إدارة التوحش.

الثالثة: مرحلة شوكة التمكين.

والمعني بـ«التوحش»: سقوط الدولة وتفككها، وشيوع الفوضى بحيث يحتاج الناس فيها إلى من يوفر لهم الحاجات الأساسية كالمأكل والمشرب وكل الضرورات، ويقبلون فيها من يدير هذا التوحش، وهنا تأتي هذه الجماعات التكفيرية لإدارة هذا التوحش، ومنه ينتقلون إلى مرحلة التمكين.

وقد اعترف منظر الفكر الأكبر سيد إمام بوحشية وإجرام كتاب «إدارة التوحش»، فقال: (وكتاب «إدارة التوحش» هو دستور الإجرام

(١) «العمدة في إعداد العدة» (ص٣١).

العملي الخاص بـ«القاعدة»، والذي نفذت تعاليمه الوحشية الإجرامية في العراق والسعودية ولبنان والجزائر وباكستان)[(١)].

ولذلك فهم يسعون سعياً حثيثاً في تفكيك الدول، وإشاعة الفوضى بالقيام بعمليات إرهابية متنوعة، عبر مجموعات متفككة عن بعضها.

قال محمد خليل الحكايمة: (إن دورنا هو التحريض والدعوة إلى الجهاد، ودور المسلمين هو اختيار الهدف... لا حاجة بك إلى لقاء جهادي آخر لتصبح أنت الآخر مثله... تخيل أن «القاعدة» غير موجودة وتريد الانضمام إلى حركة الجهاد العالمي فما عليك إلا أن تتخير الشباب الصغير السن... لتكوين خلية صغيرة العدد... وأن يعتبر أمير الخلية نفسه أسامة بن لادن بالنسبة إلى بقية الأعضاء من جهة وضع الأهداف)[(٢)].

وشرحُ هذه الخطط العسكرية وذكرُ تفاصيلها يطول، والمقصد من الإشارة إلى هذا الأمر: التأكيد على سعيهم الحثيث في فُرقة المسلمين، وتفكيك جماعتهم بالخروج والثورة على أئمتهم.

وقد تعالت نداءاتهم وصيحاتهم لذلك.

قال أسامة بن لادن: (كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا)[(٣)].

وقال أيضاً في نداء له: (يا أمة الإسلام، ثوري على الظلم

---

(١) «مستقبل الصراع في أفغانستان» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الرابعة بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٠م.

(٢) نقلاً من موقع الحكايمة المعروف بـ«الثابتون على العهد» بتاريخ ٢٦/٨/٢٠٠٧، وانظر: «مستقبل الصراع في أفغانستان» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة السابعة بتاريخ ٣١/ ١/ ٢٠١٠م.

(٣) شريط صوتي بثته قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ١١/ ٢/ ٢٠٠٣م.

والطغيان... السعي لحشد الأمة للخروج بمظاهرات شعبية وعصيان مدني حتى سقوط الحكومات الخائنة، السعي للخروج على أئمة الكفر والنفاق الذين ارتدوا عن دينهم وخانوا أمتهم وقَتْلهم)[١].

وقال في شريط «استعدوا للجهاد»: (ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين هو كذلك فرض عين)[٢].

وقال أبو محمد العدناني الناطق باسم تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» في بيان له: (فهيا أيها الموحد؛ لا تفوتنّك هذه المعركة أينما كنت، عليك بجنود وأنصار الطواغيت وعسكرهم، وشرطهم وعناصر أمنهم ومباحثهم وعملائهم؛ قُضّ مضاجعهم، ونغّص عليهم عيشهم، واشغلهم بأنفسهم)[٣].

وهم لا يزالون إلى يومنا هذا أهل ثورة وخروج على الحكام والأئمة، لا توجد منهم طائفة في بلد من البلاد إلا وتجد لهم نشاطاً ملحوظاً في إثارة الشبهات حول الحكام والأئمة، والدندنة حول مسائل الحكم بغير ما أنزل الله والتكفير بالمعاصي الظاهرة؛ كالربا وشرب الخمر، والسعي إلى قلب أنظمة الحكم والخروج والثورة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وإلا زعزعوا الأمن بأعمال التخريب والترويع.

وانظر إلى ما جرى على أيديهم في الجزائر وأفغانستان وباكستان والعراق وسوريا واليمن والسعودية وغيرها كثير، لم تسلم بلدة من البلاد، مسلمة أو غير مسلمة، من شرّهم وأذاهم.

---

(١) كلمة له بُثت في قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٤/١/٢٠٠٤م.

(٢) نقلاً من كتاب «مختصر جهاد المسلمين بين فهم الغلاة وتخذيل المرجفين» د. عصام السناني (ص٤٩).

(٣) بيان صوتي ومفرغ باسم «إن ربك لبالمرصاد»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية:
http://al-adneni.blogspot.com

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها تعتقد وجوب السمع والطاعة للأئمة، وتحرّم الخروج والثورة، وتأمر بالصبر على ظلم الحكام وجورهم مع وجوب النصيحة لهم، وأن الصبر على ظلمهم خيرٌ من الخروج عليهم.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اختلفوا في الجماعة والفُرْقة؛ فذهب الصحابة ومن تبعهم إلى وجوب الجماعة وتحريم الفُرقة ما دام التوحيد والإسلام؛ لأنه لا إسلام إلا بجماعة. وذهب الخوارج، والمعتزلة إلى الفُرقة وإنكار الجماعة؛ فَحَكَم الكتاب بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1] [آل عمران: ١٠٣].

وقال أيضاً في مسائل الجاهلية التي جاء النبي ﷺ بمخالفتها: (الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر، وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ، وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك، وأبدأ فيه وأعاد. وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه ﷺ في «الصحيحين» أنه قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً: ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»، ولم يقع خلل في دين الناس، ودنياهم، إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث، أو بعضها)[2].

بل إن من الأصول التي فارق فيها أهل السُّنَّة الخوارج: لزوم الجماعة والسمع والطاعة للأئمة.

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ١٨٣).

(٢) «موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١/ ٣٣٥).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (فطاعة ولي الأمر، وترك منازعته، طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، وهذا هو فصل النّزاع بين أهل السُّنَّة، وبين الخوارج والرافضة)[(١)].

وقال أيضاً: (إن أمر المسلمين لايصلح إلا بإمام، وإنه لا إسلام إلا بذلك، ولا تتم المقاصد الدينية، ولا تحصل الأركان الإسلامية، وتظهر الأحكام القرآنية إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا، ولا تأتي شريعة بذلك قط. ومن عرف القواعد الشرعية، عرف ضرورة الناس وحاجتهم في أمر دينهم ودنياهم إلى الإمامة والجماعة)[(٢)].

وكان أئمة الدعوة ينهون أشد النهي عن مفارقة الجماعة، ونزع اليد من الطاعة، ويأمرون بالصبر على جور الحكام وظلمهم، وكلامهم في هذا الأصل يتعذر حصره.

ولما وقع بعض الغلاة في تكفير الحكام ببعض ما يظنونه كفراً، أنكر عليهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً: (وقد بلغني: أنكم تأوّلتم قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض الرؤساء الضالين والملوك المشركين، ولم تنظروا لأول الآية وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥] ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة...)[(٣)].

وقال أيضاً مبيّناً خطورة مفارقة الجماعة وأثرها على الأمة في كلام

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٩٢).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٩).
(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٤٧٦).

طويل أنقله بطوله لأهميته: (ثم هنا مسألة أخرى، وداهية كبرى، دها بها الشيطان كثيراً من الناس، فصاروا يسعون فيما يفرق جماعة المسلمين، ويوجب الاختلاف في الدين، وما ذمه الكتاب المبين، ويقضي بالإخلاد إلى الأرض وترك الجهاد، ونصرة رب العالمين، ويفضي إلى منع الزكاة، ويشب نار الفتنة والضلالات؛ فتلطف الشيطان في إدخال هذه المكيدة ونصب لها حججاً ومقدمات، وأوهمهم أن طاعة بعض المتغلبين، فيما أمر الله به ورسوله، من واجبات الإيمان، وفيما فيه دفع عن الإسلام وحماية لحوزته، لا تجب والحالة هذه، ولا تشرع.

ولم يدر هؤلاء المفتونون، أن أكثر ولاة أهل الإسلام، من عهد يزيد بن معاوية ـ حاشا عمر بن عبد العزيز، ومن شاء الله من بني أمية ـ قد وقع منهم ما وقع من الجراءة، والحوادث العظام، والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام؛ ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام، والسادة العظام معهم، معروفة مشهورة، لا ينزعون يداً من طاعة، فيما أمر الله به ورسوله، من شرائع الإسلام وواجبات الدين.

وأضرب لك مثلاً بالحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغشم، والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل من قتل من سادات الأمة؛ كسعيد بن جبير، وحاصر ابن الزبير وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرمة، وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة وبايعه عامة أهل مكة والمدينة واليمن، وأكثر سواد العراق.

والحجاج نائب عن مروان، ثم عن ولده عبد الملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان، ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته، والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه، من أركان الإسلام وواجباته. وكان ابن عمر ومن أدرك الحجاج من أصحاب رسول الله ﷺ لا ينازعونه، ولا يمتنعون من طاعته، فيما يقوم

به الإسلام، ويكمل به الإيمان. وكذلك من في زمنه من التابعين؛ كابن المسيب، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم التيمي، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة. واستمر العمل على هذا بين علماء الأمة، من سادات الأمة وأئمتها، يأمرون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله مع كل إمام بر أو فاجر، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد.

وكذلك بنو العباس، استولوا على بلاد المسلمين قهراً بالسيف، لم يساعدهم أحد من أهل العلم والدين، وقتلوا خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً من بني أمية وأمرائهم ونوابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان؛ حتى نقل أن السفاح قتل في يوم واحد نحو الثمانين من بني أمية، ووضع الفرش على جثثهم، وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب؛ ومع ذلك فسيرة الأئمة؛ كالأوزاعي، ومالك، والزهري، والليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، مع هؤلاء الملوك، لا تخفى على من له مشاركة في العلم واطلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم؛ كأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن نصر، وإسحاق بن راهويه، وإخوانهم، وقع في عصرهم من الملوك ما وقع، من البدع العظام، وإنكار الصفات، ودعوا إلى ذلك، وامتحنوا فيه، وقتل من قتل؛ كأحمد بن نصر؛ ومع ذلك فلا يعلم أن أحداً منهم نزع يداً من طاعة، ولا رأى الخروج عليهم)[(١)].

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل ظهور هذه الدعوة وقبل أن يُمكّن لها، كان تحت ولاية أمراء كثيرين في البلاد والقرى التي سكنها وعاش فيها؛ كالعيينة، وحريملاء، وكذلك البلاد التي زارها مثل:

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٨/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠).

البصرة، ومكة، والمدينة، والأحساء، ومع ذلك لم يُعرف عنه قط أنه دعا في يوم من الأيام إلى نقض بيعة أحد من أمراء تلك النواحي، أو حرّض عليها، أو زهّد في السمع والطاعة، ولزوم الجماعة، مع أن مظاهر الشرك والبدعة كانت منتشرة آنذاك؛ بل إنه كتب في وجوب السمع والطاعة ولزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة، قبل ظهور هذه الدعوة.

وللشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام طويل في محاورة «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» في الجزائر، والإنكار عليهم في خروجهم على الحكومة الجزائرية[١].



(١) انظر: «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» (ص١٣٣ ـ ١٧٨).

المطلب الثامن

وجوب تكوين جماعات جهادية
يُبايع لأميرها وتُجعل له حقوق الولاة

لم يزل الخوارج في القديم والحديث يعلنون الجهاد ويأمرون بالقتال ويعقدون الرايات بدون إذن الحاكم الشرعي ولا الدولة المسلمة، كما أعلنوه قديماً على الصحابة، وفي كل وقت تمكنوا فيه، ولا يزالون يعلنونه اليوم في بلاد المسلمين وغير المسلمين.

ولما كانوا لا يرون لحكام المسلمين إمامة صحيحة توجب طاعتهم، أوجبوا تكوين جماعات جهادية في كل قطر من الأقطار، يُجعل لأميرها ما يُجعل للإمام الشرعي من الحقوق؛ كوجوب البيعة على السمع والطاعة، والجهاد معه، ونحو ذلك.

قال سيد إمام: (إذا شرع المسلمون أو طائفة منهم في عملٍ من الأعمال الجماعية ـ خاصة التدريب والجهاد ـ ولم يكن للمسلمين إمام، كما هو الحال في زماننا الآن، فعلى المسلمين أن يختاروا أحدهم للإمارة، ولا يصح أن يعملوا بدون إمارة)[١].

ثم قال: (تنطبق على هذه الجماعة وعلى أميرها أحكام الإمارة الشرعية)[٢].

وكل ما يجري اليوم من إفسادهم في الأرض وقتل الآمنين وتخريب العمران يفعلونه باسم الجهاد!! وأفعالهم في ذلك أشهر من أن تُذكر.

---

(١) «العمدة في إعداد العدة» (ص٥٤).

(٢) «العمدة في إعداد العدة» (ص٥٧).

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها تعتقد أن القتال للدفاع عن الإسلام وصدِّ العدوان فضلاً عن القتال لنشر الدعوة والإسلام من خصوصيات الحكام، ما دام سلطانهم باقياً، ولا يكون إلا تحت راية الحكومات والجيوش النظامية، وأنه لا يحل لأحد ولو كان عالماً أن يُعلن الجهاد في بقعة من البقاع، فضلاً عن جماعات الغلو والتكفير المفارقة للجماعة بدون إذن الإمام.

ويرون أن كل بيعة لغير الإمام الشرعي؛ كالبيعة للأحزاب والجماعات على الدعوة، فضلاً عن البيعة على الجهاد بغير إذن الإمام، فهي بيعة باطلة محرمة، لا يجوز عقدها ولا الالتزام بها؛ بل هذا مفارقةٌ للجماعة وخروجٌ عن الطاعة.

ولما عَقَد بعض الغلاة رايات الجهاد بغير إذن الإمام، كتب كل من الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ حسن بن حسين، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ـ رحمهم الله ـ رسالة إلى الإمام يحذّرونه من فعل هؤلاء الغلاة، ويبيّنون له خطر الافتيات عليه بعقد رايات الجهاد بدون إذنه، وما يجب عليه فعله تجاه من فعل ذلك، جاء فيها: (ورأينا أمراً يوجب الخلل على أهل الإسلام، ودخول التفرق في دولتهم، وهو الاستبداد من دون إمامهم، بزعمهم أنه بنية الجهاد، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو، وبذل الذمة للعامة، وإقامة الحدود، أنها مختصة بالإمام، ومتعلقة به، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك، إلا بولايته...

إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم

منازعته والخروج عليه، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة، تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه، بغزو أو غيره، معصية ومشاقة لله ورسوله، ومخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة)[١].

وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ: (ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين: الاستخفاف بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته، والافتيات عليه بالغزو وغيره، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان.

وقد عُلم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة ولي أمر المسلمين، من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد)[٢].

وقد سُئل الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللهُ سؤالاً هذا نصّه: (ما حكم البيعة لأميرٍ؛ بيعة منفصلة عن بيعة وليّ الأمرالعام؛ كأن يكون هناك تنظيم في بلد إسلامي فيقوم أفراده بالبيعة لمسؤول هذا التنظيم على السمع والطاعة، فما حكم الشريعة؟

فأجاب: هذا حرام، ولا يحقّ أن يُبايع أحدٌ في مكان فيه بيعة إسلامية. نعم لو أمَّروه تأميراً لا على أنها بيعة على السمع والطاعة في كل شيء، هذا مأمورٌ به في السفر؛ إذا كان ثلاثة في سفر فَلْيُؤمّروا أحدهم حتى إذا اختلف الاثنان يكون الحكم لأميرهم. أما داخل البلد فليست مشروعة، وكذلك نفس بيعة: «إني بايعتك» هذه أيضاً ممنوعة

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٩٥ ـ ١١٩).
(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٤٢).

مطلقاً حتى في السفر)[١].

وسُئل الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ سؤالاً هذا نصه: (مما يتساهل به الناس قضيّة البيعة؛ فهناك من يرى جواز أخذ البيعة لجماعة من الجماعات مع وجود بيعة أخرى، وقد لا يكون المُبايع في هذه الجماعات معروفاً بدواعي السّرّيّة؛ ما حكمُ هذا؟ ثم هل يختلف الحكم في بلاد الكفّار أو تلك التي لا تحكم بما أنزل الله؟

فأجاب: البيعة لا تكون إلا لوليّ أمر المسلمين، وهذه البيعات المتعدِّدة مبتدعة، وهي من إفرازات الاختلاف، والواجب على المسلمين الذين هم في بلد واحد وفي مملكة واحدة أن تكون بيعتهم واحدة لإمام واحد، ولا يجوز المبايعات المتعدّدة، وإنما هذا من إفرازات اختلافات هذا العصر، ومن الجهل بالدّين، وقد نهى الرسول ﷺ عن التفرُّق في البيعة وتعدُّد البيعة. . .)[٢].



(١) شريط صوتي في موقع اليوتيوب في الشبكة العنكبوتية، بعنوان «الشيخ ابن عثيمين: ما حكم البيعة لرؤساء التنظيمات وهي غير بيعة ولي الأمر؟!».

(٢) «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان» (١/ سؤال رقم ٢١٣).

المطلب التاسع

السعي في إقامة الخلافة وادعاؤها

قد اشتهر عن الخوارج عبر التاريخ ادعاء الخلافة العامة على المسلمين؛ لأنهم يحصرون الإسلام فيهم دون غيرهم، وبسبب جهلهم أيضاً بمفهوم الخلافة الإسلامية.

قال ابن حجر: (إن الخوارج في زمن بني أمية تسمّوا بالخلافة واحداً بعد واحد، ولم يكونوا من قريش)(١).

وعلى هذا الطريق سارت جماعات الغلو والتكفير، فإن مقصدهم الأعظم إقامة الخلافة العامة للمسلمين؛ بل يرون هذا من أوجب الواجبات.

قال سيّد إمام: (أوجب الواجبات الشرعية في هذا الزمان هو الجهاد في سبيل الله تعالى نصرة لدين الله سبحانه وإنقاذا للأمة من المذلة والهوان، ولإقامة الخلافة الإسلامية تلك الفريضة التي يأثم المسلمون جميعا بغيابها لقول رسول الله ﷺ: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»، والمقصود بيعة الإمام لا غير. وسيأتي الحديث عن الجهاد بشيء من التفصيل في مسألة (معالم أساسية في الجهاد) إن شاء الله. هذا هو الواجب الحق المُضَيَّق الوقت. وأي جماعة لا تعمل في هذا السبيل هي مُخْطِئة ومُقَصِّرَة وإن قامت ببعض واجبات الدين الأخرى)(٢).

وقال أبو قتادة الفلسطيني: (موجبات حركات الجهاد في ديار الردة

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ١١٨).

(٢) «العمدة في إعداد العدّة للجهاد في سبيل الله» (ص٩١).

فهي إعادة العقد الجامع لشتات المسلمين؛ أي: دولة الخلافة الضائعة، فلما سقطت الخلافة انفرط عِقد الأمة فلم تَعُد تستحق اسم الأمة)[(١)].

وقد سطّر علي بن حاج أحد قادة «جبهة الإنقاذ» في الجزائر عدة رسائل ومقالات في تقرير: أن من أوجب واجبات الدعاة السعي لإقامة الخلافة.

فقال في رسالة له بعنوان «تنبيه الغافلين وإعلام الحائرين بأن إعادة الخلافة من أعظم واجبات هذا الدين»: (ولا شك عند أهل العلم أنّ أعظم الفرائض التي ينبغي أن نعمل جاهدين على إحيائها، والتذكير بعظيم شأنها، إذ بغيرها لا قيام للدين ولا للدنيا؛ ألا وهي فريضة الخلافة «الخلافة على منهج النبوة»، كيف لا؛ وقد قرر علماء الإسلام وأعلامه أن الخلافة فرضٌ أساسي من فروض هذا الدين العظيم؛ بل هو الفرض الأكبر الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض، وأن الزهد في إقامة هذه الفريضة من كبائر الإثم، وما الضياع والتيه والخلافات والنزاعات الناشبة بين المسلمين كأفراد وبين الشعوب الإسلامية كدول إلا لتفريط المسلمين في إقامة هذه الفريضة العظيمة، وخير من وضّح هذه الحقيقة والنتائج الوخيمة الناجمة عن سقوط الخلافة الشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق في كتابه «المسلمون والعمل السياسي»)[(٢)].

ولذلك ما إن يحصل لهم نوع تمكين في بقعة من الأرض إلا ويسارعون إلى إعلان الخلافة اتباعاً لأسلافهم، ومن ذلك ما وقع في العراق والشام في هذه الأيام، فإنهم لما تمكّنوا من بعض النواحي في ظل القتال الدائر في سوريا وضعف الحكومة المركزية في العراق، أعلن

(١) «الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج» (ص٩٣).

(٢) منشور على موقعه الرسمي في الشبكة العنكبوتية:
http://www.alibenhadj.net/

تنظيم «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» الخلافة في البقاع التي سيطر عليها، وألزم المسلمين جميعاً بوجوب الدخول في طاعتهم وبيعة خليفتهم المزعوم.

قال أبو محمد العدناني في بيان إقامة الخلافة: (ولم يبقَ إلا أمر واحد؛ واجب كفائي، تأثم الأمة بتركه، واجب منسيّ، ما ذاقت الأمة طعم العزة منذ أن ضُيّع، حلم يعيش في أعماق كل مسلم مؤمن، أمل يرفرف له قلب كل مجاهد موحّد؛ ألا وهو الخلافة! ألا وهو الخلافة! واجب العصر المضيّع؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة؛ يُسمَع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتُنفّذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، ولا بين الأئمة، إلا ما رُوي عن الأصم؛ حيث كان عن الشريعة أصمّ. انتهى كلامه رحمه الله.

وبناء عليه؛ اجتمع مجلس شورى الدولة الإسلامية، وتباحث هذا الأمر، بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مقوّمات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم بها، وأنه لا يوجد مانع أو عذر شرعي لدى الدولة الإسلامية؛ يرفع عنها الإثم في حال تأخرها أو عدم قيامها بالخلافة؛ فقررت الدولة الإسلامية، ممثّلة بأهل الحل والعقد فيها؛ مِن الأعيان والقادة والأمراء ومجلس الشورى: «إعلان قيام الخلافة الإسلامية»، وتنصيب خليفة للمسلمين، ومبايعة الشيخ المجاهد، العالم العامل العابد، الإمام الهمام المجدد، سليل بيت النبوّة، عبد الله: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد، البدري القرشي الهاشمي الحسيني نسباً، السامرائي مولداً ومنشاً، البغدادي طلباً للعلم وسكناً، وقد قبل البيعة؛ فصار بذلك إماماً وخليفة للمسلمين في كل مكان، وعليه: يُلغى اسم «العراق والشام» مِن مسمّى الدولة في التداولات

والمعاملات الرسمية، ويُقتصر على اسم «الدولة الإسلامية» ابتداء مِن صدور هذا البيان.

ونبّه المسلمين: **أنه بإعلان الخلافة؛ صار واجباً على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم حفظه الله**، وتبطل شرعيّة جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانه ويصلها جنده... وأما أنتم يا جنود الفصائل والتنظيمات؛ فاعلموا أنه بعد هذا التمكين وقيام الخلافة: بطلت شرعية جماعاتكم وتنظيماتكم، ولا يحل لأحد منكم يؤمن بالله: أن يبيت ولا يدين بالولاء للخليفة)[(١)].

ولمزيد بحث في هذه المسألة فليُراجع كتابي: «مسائل منهجية حول مفهوم الخلافة الإسلامية».

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فترى أن لكل دولة من دول المسلمين اليوم ومنذ عهد بعيد حاكماً قد انعقدت له البيعة الشرعية؛ تجب طاعته وتحرم منازعته، وأن كل ما جاء في النصوص من أحكام الخليفة فإنه يعم كل حاكم في سلطانه وولايته، وأنه لا يحق لأحد أن يدّعي الخلافة العامة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلَّب على بلدٍ أو بلدان، له حكمُ الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون

(١) بيان صوتي ومفرغ بعنوان «هذا وعد الله»، منشور في موقع «أبو محمد العدناني الشامي» في الشبكة العنكبوتية:
http://al-adneni.blogspot.com

أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم)[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: (وأودّ أن أنبه هنا على خطإ ما أورده الكاتب في بحثه في الفصل الثالث المعنون بقوله: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، وما صرّح به الكاتب من أنّ زماننا هذا ليس فيه جماعة ولا إمام.

وسبب هذا الخطإ فَهْمُ الكاتب أن الجماعة لا تكون جماعة، والإمام لا يكون إماماً تجب طاعته على وفق أمر الله ورسوله، ويُؤدّى له من الحقوق ما أمرت به الشريعة إلا إذا كان إماماً عاماً لكل المسلمين، لا يشذ منهم أحد من بلاد المسلمين.

والأمر خلاف ذلك، فإنه متى تمّ الأمر لشخص مسلم في بلد ما عن طريق البيعة أو الغلبة والقهر، وقام بتحكيم الشريعة وتنفيذ أوامرها ونواهيها، وإقامة حدودها، فقد انعقدت إمامته، ووجب طاعته، والجماعة التي تحت سلطانه جماعة إسلامية، لا يحل الخروج عليه، ولا نزع اليد من طاعته إلا إذا رأت كفراً بواحاً. ومثل هذا كثير في تاريخ المسلمين، فقد انعقدت الخلافة للعباسيين في المشرق، وللأمويين في الأندلس، وكلٌّ منهم إمام على من تحت يده، وجماعته جماعة إسلامية، وكذا الحال في عصرنا هذا من تعدد الحكومات، فالحكومة الإسلامية وجماعتها جماعة إسلامية ما دامت ملتزمة بتنفيذ أحكام الإسلام وتحكيم شريعة الله، ولا يُخل بذلك وجود المعاصي...)[٢].

وقال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (الإمامة العامة انقرضت من

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٥).

(٢) وهي فتوى صادرة بتاريخ ١٣/ ١/ ١٤٠٢هـ، مثبتة في كتاب «حكم العمل الجماعي في الإسلام» لعبد الله السبت، بتقديم الشيخ صالح الفوزان. (ص٣٩).

أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال: «**اسمعوا وأطيعوا ولو تأمَّر عليكم عبد حبشي**»، فإذا تأمَّر إنسان على جهةٍ ما، صار بمنزلة الإمام العام، وصار قوله نافذاً، وأمره مطاعاً، ومِنْ عَهْدِ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه والأمة الإسلامية بدأت تتفرق، فابن الزبير في الحجاز، وبنو مروان في الشام، والمختار بن عبيد وغيره في العراق، فتفرقت الأمة، وما زال أئمة الإسلام يدينون بالولاء والطاعة لمن تأمّر على ناحيتهم، وإن لم تكن له الخلافة العامة)[١].

وقال أيضاً: (لو قلنا: إنه لا تثبت الإمامة ولا تجب طاعة ولاة الأمور الذين في كل صُقْعٍ من الأرض ما بقي للناس الآن أئمة، فالإمامة العظمى واجبة بقدر الإمكان. لكن إذا لم يمكن كوقتنا الحاضر وما قبله بأزمانٍ كثيرة فكل من تولَّى على جهة فهو إمامهم)[٢].

وقال رحمه الله: (عمل المسلمين منذ أزمنة متطاولة على أن من استولى على ناحية من النواحي، وصار له الكلمة العليا فيها، فهو إمام فيها، وقد نص على ذلك العلماء مثل صاحب سبل السلام)[٣].

ولما مكّن الله للإمام محمد بن سعود في الجزيرة لم يَدّعِ الخلافة العامة، ولا من بعده من الأئمة، إلى يومنا هذا، فضلاً عن أن يدعيها الإمام محمد بن عبد الوهاب أو أحدٌ من علماء الدعوة.

قال الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله: (ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما ادّعى إمامة الأمة، وإنما هو عالم دعا إلى الهدى، وقاتل عليه ولم يُلقَّب في حياته بالإمام، ولا عبد العزيز بن محمد بن سعود، ما كان أحدٌ في حياته منهم يُسمّى إماماً، وإنما حدث تسمية من تولى إماماً بعد موتهما.

---

(١) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (٨/ ٩).

(٢) «شرح العقيدة السفارينية» (ص٦٦٩). (٣) «الشرح الممتع» (٨/ ٦).

وأيضا: فالألقاب أمرها سهل، وهكذا كل من صار ولياً في صنعاء يسمى إماماً، وصاحب مكة يلقب كذلك)[١].

وأئمة الدعوة كلهم يوجبون طاعة كل من تغلّب على قطرٍ من أقطار المسلمين، ولو لم تتوافر فيه شروط الإمامة، ويرون ثبوت أحكام الولاية له، وتحريم الخروج عليه ومنازعته، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلَّب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه وصحة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف، وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة ظلمة فسقة، ما لم يروا كفراً بواحاً؛ ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم، وأمثالهم ونظرائهم)[٢].

على أن هذا لا يعني ترك نصرة من انعقدت له البيعة الشرعية ضد من بغى عليه؛ بل يرون وجوب نصرته والقتال معه، فإن تغلّب الباغي حتى استتب له الأمر، انعقدت إمامة المتغلّب، وثبتت له أحكام الولاية.

ولما نازع الأمير سعود بن فيصل بن تركي أخاه عبد الله على المُلك، كتب الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة إلى الناس يحثهم على وجوب نصرة إمامهم الذي انعقدت له البيعة الشرعية، قال فيها: (إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جمعكم على إمامكم: عبد الله بن فيصل بعد وفاة والده فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالذي بايع وهم الأكثرون، والذين لم يبايعوا بايع لهم كبارهم، واجتمع عليه أهل نجد باديهم وحاضرهم، وسمعوا وأطاعوا، ولا اختلف عليه أحد منهم... وسعى سعود في ثلاثة أمور كلها منكرة،

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٩).

(٢) «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (٢/ ٨٩٤).

نَقَض البيعة بنفسه، وفارق الجماعة، ودعا الناس إلى نقض بيعة الإمام؛ فعلى هذا: يجب قتاله، وقتال من أعانه)[١].

فلما تغلّب الأمير سعود على الحكم، واستتب له الأمر، بايعه كل أئمة الدعوة بالإمامة.

❁ ❁ ❁

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٢ ـ ١٣).

المطلب العاشر

وجوب الاستيلاء على أموال الحكومات الإسلامية بالقهر والحيلة والخداع

من أصول الخوارج المتقدمين استباحة أموال مخالفيهم ونهبها، وهو فرع عن تكفيرهم والحكم عليهم بالردة.

قال نافع بن الأزرق في رسالة إلى نجدة بن عامر الحنفي: (وأما استحلال الأمانات؛ فمن خالفنا فإنّ الله ﷻ أحلّ لنا أموالهم، كما أحل لنا دماءهم؛ فدماؤهم حلال طَلْق، وأموالهم فيء للمسلمين)[١].

ولقد سارت جماعات الغلو والتكفير المعاصرة على ما سار عليه سلفهم، فسلكوا مسالك العصابات الإجرامية من قتل وتخريب وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، كل ذلك باسم الجهاد زعموا!

ومن ذلك أنهم أباحوا لأنفسهم الاستيلاء على أموال الحكومات الإسلامية، والتي يعتبرونها حكومات ردّة، بأي وسيلة كانت، بالنهب والغصب والسرقة، أو بالحيلة والخداع، حتى صار هذا الاستيلاء من أكبر مصادر تمويل أعمالهم الإجرامية.

وهم لا ينظرون إلى هذه الأموال، إلا باعتبارها أموال كفارٍ محاربين، ولذلك خصوا أنفسهم بها، ورأوا أحقيتهم بالاستيلاء عليها، متناسين أنها أموالٌ للمسلمين عامة، وليس للحكام منها إلا صرفها في مصارفها الشرعية، وهذا لكونهم لا يرون للمسلمين حرمة.

قال أبو مصعب السوري في ذكر ما يحل للجماعات الجهادية من الأموال: (فإنه يتقرر:

(١) «العقد الفريد» (٢/ ٢٤٠).

ـ حل أموال الحكومات المرتدة وأملاكها العامة، وأملاك كبار مجرميها الحاكمين.

ـ حل أموال كافة الكفار الأجانب في بلاد المسلمين لسقوط أمانهم بسقوط شرعية الحكومات القائمة التي ليس لها حقٌّ إعطاء الأمان والذمة وإبرام العقود والعهود مع الكفار.

ـ حل أموال كافة غير المسلمين المقيمين في بلاد المسلمين لنفس السبب السابق.

ـ حل أموال المرتدين من المجاهرين بتعاونهم مع قوات الاحتلال ونصرتهم على المسلمين.

ـ حل أموال الكفار في البلاد المحاربة للمسلمين...)[١].

فهذه الجماعات في حقيقتها عصابات إجرامية، تقتل وتنهب وتغتصب، ولا تتورع عن أي شيء في سبيل تنفيذ مخططاتها والوصول إلى أهدافها.

فرع

موقف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذا الأصل

وأما دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فإنها تُحرّم أموال المسلمين أفراداً وحكومات كحرمة دمائهم وأعراضهم، ولا تستبيح التحيّل بأي نوع من أنواع الحيل لنهب أموال المسلمين وسلبها.

قال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبيّناً عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب: (ويؤمن بما نطق به الكتاب، وصحت به الأخبار، وجاء الوعيد عليه، من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ولا يبيح من ذلك إلا ما أباحه الشرع، وأهدره الرسول ﷺ،

(١) «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص١٤٣٤).

ومن نسب إليه خلاف ذلك فقد كذب وافترى، وقال ما ليس له به علم، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين)[١].

ولما وقعت حركة «الإخوان» في نجد في مثل ما وقعت فيه جماعات الغلو والتكفير، من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بحجة الجهاد في سبيل الله، أنكر عليهم أئمة الدعوة، وبيّنوا خطأهم وغلوهم، حتى انتهى الأمر بقتالهم وكفّ شرهم.

وكتب كلٌّ من: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ـ رحمهم الله ـ رسالةً ذكروا فيها الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على تحريم دماء المسلمين وأموالهم، ثم قالوا: (وقد حصل بسبب الإخلال بما تضمنته هذه الآيات، وهذه الأحاديث، وعدم العمل بما دلت عليه، وما ذكره علماء الإسلام قديماً وحديثاً، وجوب الاجتماع على الإسلام، والتعاون والتناصر عليه، وطاعة ولي أمر المسلمين، وعدم الاختلاف عليه والتخلف عن طاعته، ما وقع من هذه الطائفة الباغية، من شق العصا، والخروج عن طاعة ولي الأمر، حتى فعلوا ما فعلوا من الفساد، من سفك الدماء، ونهب الأموال المحرمة.

وقد اجتهد الإمام ـ وفقه الله ـ في ردهم إلى الحق، وأكثر من مناصحتهم، حتى بعث إليهم الشيخ عبد الله العنقري، يدعوهم إلى تحكيم الشريعة، والرجوع إلى سبيل الحق، فأصروا على ما كانوا عليه، ولم يلتفتوا إلى نصح ناصح؛ بل ذكر الشيخ عبد الله: أنه اطَّلع منهم على أمور ردية، ومقاصد غير مرضية؛ وما زالوا على ذلك، حتى أوقع الله بهم ما أوقع، من الفشل والتشتيت، وذلك بما قدمت أيديهم، ونعوذ بالله من أسباب الخذلان.

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٥٢٦).

فالواجب على من نصح نفسه ألا يغتر بطريقتهم، ولا يستحسن ما فعلوا. ويجب عليهم وعلى من اغتر بهم، واستحسن ما فعلوا: أن يتوب إلى الله، ويقلع مما اقترفه وجناه. ويجب على جميع المسلمين نصحهم، والقيام عليهم، حتى يرجعوا إلى الهدى، ويجانبوا طريق الغي والردى، ومن أصر منهم وأبى، فإن على الإمام والمسلمين زجره وتأديبه، وقمعه وتأنيبه؛ فإنهم شقوا عصا المسلمين، وفرقوا جماعتهم، وسعوا في الأرض بالفساد، ونسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وصلى الله على محمد)[١].



(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ١٩٧).



المبحث الثالث

عواقب وآثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ودعوة جماعات الغلو والتكفير

من الدلائل الظاهرة على التباين العظيم بين دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وجماعات الغلو والتكفير: النظر في عواقب وآثار دعوة الإمام الإصلاحية، ومقارنتها بعواقب وآثار جماعات الغلو والتكفير.

فكل من نظر في الآثار والعواقب لكلٍّ من الدعوتين، وتأملها أدنى تأمل، يدرك بوضوح حجم التباين بينهما، فإنه من الممتنع اتفاق طائفتين في فكرٍ وعقيدة ومنهجٍ مع تباين آثارهما تباين الضد للضد.

قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨].

فالاعتقاد الصحيح الموافق للدليل لا يورث إلا عملاً صالحاً وعاقبة حميدة، كما أن الاعتقاد الفاسد لا يورث إلا عملاً فاسداً وعاقبة سيئة.

ومن هنا سأل هرقل أبا سفيان رَضِيَ الله عَنْهُ عمن آمن بالنبي ﷺ من ضعفاء المسلمين: هل يرتدُّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فلما أجاب أبو سفيان بـ«لا»، قال هرقل: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم (٧).

لأن عاقبة الإيمان وأثره في القلب ليس كأثر الشرك والضلالة؛ بل يزيد ويقوى، فلو كان ما يدعو إليه النبي ﷺ باطلاً لما حصل هذا الأثر في القلوب من القوة والثبات، فاستدل هرقل على صحة ما دعا إليه النبي ﷺ بأثره وعاقبته.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البِرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً**»[(١)].

فالصدق خير، والخير لا يورث إلا خيراً، والكذب شر، والشر لا يورث إلا شرّاً.

فكذلك دعوة الحق لا تكون عاقبتها إلا حميدة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

كما أن دعوة الباطل عاقبتها سيئة، ولا تورث إلا شرّاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: ٢٧].

فالسيئة تولد السيئة، والشر يولّد الشر.

ومن هنا كان من المهم النظر في آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، ومقارنتها بآثار جماعات الغلو والتكفير، وذلك من خلال عدة اعتبارات:

الأول: الآثار العلمية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾، برقم (٦٠٩٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٨٠٣).

الثاني: الآثار العملية.

أما الآثار العلمية، فبالنظر إلى ما خلّفته الدعوة من علمٍ موروثٍ للأمة، عبر تكوين العلماء، ونشر العلم والفقه بين الناس، وعبر المؤلفات والرسائل العلمية النافعة في فنون العلم.

وأما الآثار العملية، فبالنظر إلى أمرين:

الأول: أثر الدعوة على الناس، ومدى محبتهم وقبولهم لها، ومدى تأثيرها على سلوكهم وأخلاقهم.

الثاني: أثر الدعوة في التمكين في الأرض.



المطلب الأول

آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية

لقد أثمرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية علماء ربانيين، استقوا علومهم من معين الكتاب والسُّنَّة وآثار سلف الأمة، حتى أضحوا نجوماً يُهتدى بهم في ظلمات الجهل والضلالة، فكانوا كما وصف الإمام أحمد أهل العلم بالسُّنَّة بقوله:

(يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)(١).

فكان منهم المحدّثون، والفقهاء، والأصوليون، والمفسّرون، حتى شهد لهم أهل العلم بالتقدم والرسوخ فيه.

وكل من تأمل مؤلفاتهم عرف علو كعبهم في العلم، وتقدمهم فيه، ولا تزال هذه الدعوة الإصلاحية تورّث علماء وفقهاء ودعاة على الحق.

ومن أراد أن يتعرّف على علماء الدعوة الإصلاحية، فلينظر في الكتب التي ترجمت لهم، وذكرت سيرتهم العلمية والعملية، وأبرزت مآثرهم وجهودهم، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن آل بسام.

---

(١) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٦).

٢ ـ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ.

٣ ـ كتاب التراجم من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية».

فضلاً عما هو مذكور في كتب التواريخ والتراجم العامة، مثل: «تاريخ نجد» لحسين بن غنام، و«عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر، و«البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع» للشوكاني.

كما أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية قد خلّفت تراثاً علمياً ضخماً، حوى كتباً ورسائل متنوعة، لا سيما في تقرير أصل الدين: توحيد الله وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وبيانه، وتوضيح معانيه، حتى أَجْلته وأظهرته وأوضحته بما لا مزيد عليه، فتكلمت عن فرائضه وأركانه وشروطه ونواقضه، كما أنها كشفت الشبهات التي يُشغِّب بها أهل البدع وأصناف المشركين والمخالفين وغيرهم، ويثيرونها حول أصل الدين وحقيقته.

فجاءت هذه الكتب والرسائل محررة متقنة، قد أُشبعت دليلاً وبحثاً ومناقشةً، حتى صارت عمدة في هذا الباب، وغدت من أحسن الكتب التي أُلفت في بيان حقيقة التوحيد، وأجمعها في كشف شبهات أهل البدع والمشركين من إخوان الشياطين.

وخلّفت أيضاً رسائل متنوعة في الفقه ومسائله، والأصول، والتفسير، وغير ذلك من فنون العلم.

وفيما يلي سردٌ لبعض مجاميع رسائلهم ومؤلفاتهم المختصرة ـ لمن أراد أن يعرف قدر الإرث العلمي لهذه الدعوة الإصلاحية ـ:

١ ـ «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» في ثلاثة عشر مجلداً.

٢ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» في ستة عشر مجلداً.

٣ ـ «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» في أربعة مجلدات كبار.

٤ ـ «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» في ثلاثة عشر مجلداً.

٥ ـ «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» في ثلاثين مجلداً.

٦ ـ «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» في تسعة وعشرين مجلداً.

٧ ـ «مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان» وشروحاته العلمية في أربعة عشر مجلداً.

أما الكتب المفردة لأئمة الدعوة الإصلاحية من عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى يومنا، فكثيرة جدّاً يتعذر حصرها.



المطلب الثاني

آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية العملية

لقد أثّرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية على الناس في الجزيرة العربية وخارجها تأثيراً عظيماً، من خلال نشر العلم وبثه، وإصلاح الأعمال والأخلاق، حتى عمّ الخير وانتشر، وصلحت بدعوته عقائد الناس، فَعَلَت منارات التوحيد وراياته، وطُمست منارات الشرك وأعلامه التي كانت مستحكمة في عامة بلاد المسلمين، وفي نفوس الكثيرين.

كما انتشرت بدعوته الإصلاحية السُّنَّة، وأميتت البدعة، ودان الناس بالاتباع، وانقمع أهل الإحداث والابتداع، وصلحت عبادات الناس، وزَكَت أخلاقهم، فعم الخير، وتضاءل الشر.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفاً حال الجزيرة قبل دعوة الإمام الإصلاحية وبعدها: (قد كان أهل نجد قبل ظهور هذه الدعوة المحمدية على غاية من الجهالة والضلالة، والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا على غاية من الجهالة في أمر دينهم، في جاهلية: يدعون الصالحين، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران، ويطوفون بقبور الأولياء، يرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من الشعب الإيمانية والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلاة ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور، وغير ذلك من جميع الفواحش والمنكرات التي لا تحصى، ولا تستقصى، فهذه هي حال الحاضرة من أهل نجد قبل ظهور الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية.

وأما حال الأعراب من أهل نجد وغيرهم فهم أغلظ كفراً ونفاقاً، وأشد إعراضاً عن الدين، مع ما هم عليه من قتل النفس ونهب الأموال وارتكاب المحرمات...

لما فتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربهم من أدلة توحيده الذي خلقهم له، وما حرّم الله عليهم من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وساعده على القيام بذلك آل سعود؛ فنصروه وآووه وجاهدوا معه القريب والبعيد، حتى أظهر الله الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات، ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الأصول والفروع ومسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وأقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحُدَّت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته مسير الشمس في الآفاق، وثبت النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجمع الله القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمته إخوانا، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي، والصخور، وفتح الله عليهم الأحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، ودانت لهم عربها وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدنيا

والدين، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والتمكين)[١].

وليس فيما ذكر ابن سحمان رحمه الله مبالغة في وصف الحال الذي كان عليه الناس قبل ظهور هذه الدعوة الإصلاحية، فقد ذكر المؤرخون الذين أرخوا لتلك الفترة ما كان عليه حال أكثر الناس والبلاد، لا سيما في الجزيرة العربية[٢].

من هؤلاء الأمير الصنعاني رحمه الله، فقد قال في مقدمة رسالته «تطهير الاعتقاد» واصفاً ما عليه الحال في عهده، من كثرة انتشار الشرك وشيوعه في عامة بلاد الإسلام: (فهذا «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وجب عليّ تأليفه، وتعيّن عليَّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتّخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن، والشام، ومصر، ونجد، وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدّعي العلم بالمغيبات والمكاشفات)[٣].

ومن آثار هذه الدعوة الإصلاحية أن الله مكّن لها في الأرض، فأثمرت دولة من دول الإسلام العظمى، التي لم يأت في التاريخ من بعد القرون المفضلة دولة توازيها في نشر التوحيد والسُّنَّة، وقمع الشرك والبدعة، والقيام بأركان الإسلام وفرائضه، حتى عم الأمن والخير عموم الجزيرة العربية.

قال الشوكاني رحمه الله في وصف أثر دولة التوحيد على بلاد نجد وما

---

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص١٤ ـ ١٧).

(٢) انظر: «تاريخ نجد» لابن غنام، الفصل الأول في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان (١/ ٥)، وانظر أيضاً: «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» (ص٧٦) وما بعدها، و«الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق» (ص٨ ـ ١٣)، كلاهما للشيخ سليمان بن سحمان، فقد تكلم بإسهاب عن الحال في الجزيرة العربية وعموم بلاد المسلمين قبل الدعوة.

(٣) (ص١٢).

جاورها: (فإن صاحب نجد ـ أي: الإمام سعود بن عبد العزيز ـ... قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز، ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم، إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً، ولا يقومون بشيء من واجباته، إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين، على مافي لفظهم بها من عوج، وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها)(١).



(١) «البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع» (٢/ ٥).

المطلب الثالث

آثار جماعات الغلو والتكفير العلمية والعملية

أما جماعات الغلو والتكفير، فإنها لم تثمر في كل البلاد التي نشطت فيها إلا شرّاً وفساداً، وإزهاقاً للأرواح المعصومة، وإتلافاً للأموال المحترمة، وانتهاكاً للأعراض المصونة، وتدميراً لعامر البنيان والمساكن، وإتلافاً للزروع والثمار، ونشراً للخوف والذعر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

وهذه الجماعات نشأت في مصر وترعرعت، ثم انتقل وباؤها إلى بلاد كثيرة عربية وعجمية، ومضى لها أكثر من ثمانين عاماً، ما خلّفت وراءها إلا الدمار والفساد.

حتى الدول التي آوت أفرادهم وأيدتهم، وأوجدت لهم ملاذاً آمناً، مثل طالبان، لم تسلم من شرهم، فلم يمض على قيامها وتمكنّها من كثير من أقاليم أفغانستان إلا خمس عشرة سنة حتى تسببوا في إسقاطها ودمارها، بفعلتهم الشنيعة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك من عام ٢٠٠١م.

وقد اعترف بذلك منظّرهم الأكبر سيد إمام، فقال عن تنظيم «القاعدة»: (أينما حلّت «القاعدة» حلّ الدمار على المسلمين، حدث هذا في أفغانستان والعراق والصومال، وفي منطقة وزيرستان بباكستان، دمار بعد دمار)[١].

والواقع اليوم في العراق وسوريا وليبيا يشهد بذلك. وانظر إلى

(١) «التعرية لكتاب التبرئة» منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة السابعة بتاريخ ٢٤/١١/٢٠٠٨م.

دولة خلافتهم المزعومة «داعش» وما جرى على يديها من الأمور المنكرة، فكم استباحت من الدماء، وانتهكت من الأعراض، وخرّبت من الديار والبلاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا من الناحية العملية، أما من الناحية العلمية فإن هذه الجماعات لم تثمر علماً صحيحاً، ولا خرجت طلبة علم فضلاً عن علماء، فإنها كما قامت على جهل وضلالة، فقد أثمرت من جنس ما قامت عليه، أثمرت كتب بدعٍ وضلالات، تدعو إلى فكر الخوارج والثوريين، حتى غدت كتبهم عمدة الخوارج المعاصرين، فعليها تربّى الخوارج والثوريون، ومنها تولدت الفتن والثورات، وبها استبيحت الدماء والأعراض والأموال، وبسببها سُلّطت سهام التكفير على المسلمين.

فمن موروثهم العلمي المنحرف ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ: «المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن»، و«التفهيمات»، و«الخلافة والملك» لأبي الأعلى المودودي، و«معالم في الطريق» و«في ظلال القرآن» لسيد قطب، و«الفريضة الغائبة» لعبد السلام فرج، و«العمدة في إعداد العدة» و«الجامع في طلب العلم الشريف» لسيد إمام، و«فرسان تحت راية النبي ﷺ» و«التبرئة» لأيمن الظواهري، و«دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» لأبي مصعب السوري، و«إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي، و«ملة إبراهيم» و«الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير» و«الكواشف الجلية» لأبي محمد المقدسي، وسلسلة مقالات «بين منهجين» لأبي قتادة الفلسطيني.

وأما شيوخ جماعات الغلو والتكفير، فهم كما وصفهم الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (فالعجب كل العجب ممن يُصغي ويأخذ بأقوال أناس ليسوا بعلماء، ولا قرؤوا على أحدٍ من المشايخ، فيُحسنون الظنّ بهم فيما يقولونه وينقلونه، ويُسيئون الظنّ بمشايخ أهل الإسلام

وعلمائهم الذين هم أعلم منهم بكلام أهل العلم)[١].

فلا يُعرف عن أحدٍ من منظريهم ملازمة العلماء، ولا أخذ العلم عنهم، ولا التخرج من الكليات الشرعية، وهم ما بين متخصص في العلوم الدنيوية؛ كالطب والهندسة، وعلوم التجارة والتربية، وبين جاهلٍ لا يحمل مؤهلاً في أي نوع من أنواع العلوم.

ولو أردنا أن نستقصي كل واحد منهم لطال بنا المقام.

ومما يؤكد التباين العلمي والعملي بين دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وجماعات الغلو والتكفير: انتداب علماء الدعوة الإصلاحية ودعاتها للردّ على جماعات الغلو والتكفير، وكشف زيفها وضلالها، والتحذير من مسالكها.

فإن المتأمل اليوم في المشهد العلمي يجد أن الذي تولى زمام التحذير من جماعات الغلو والتكفير، وحمل رايته هم أتباع هذه الدعوة الإصلاحية، فقد كتبوا وألفوا وحذّروا منها قديماً وحديثاً.

ومن الممتنع أن يتولى علماء الدعوة الإصلاحية الردّ على هذه الجماعات الغالية، مع اتفاقهم معهم في العقيدة والمنهج!



(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص٢٤).

خلاصة وخاتمة

نستخلص مما سبق تفصيله في المباحث الثلاثة ما يلي:

١ ـ بطلان نسبة جماعات الغلو والتكفير إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، من عدة اعتبارات:

الأول: باعتبار النشأة والتلقّي.

الثاني: باعتبار الأصول الفكرية والعقدية والعملية.

الثالث: باعتبار العواقب والآثار.

٢ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب نشأ نشأة علمية، وتلقى العلم عن علماء وفقهاء من مختلف البلدان، بينما رؤوس جماعات الغلو والتكفير ومنظروهم نشؤوا نشأة غير علمية، ولم يُعرف عن أحدٍ منهم أخذ العلم عن أهله، ولا التخرج من كليات شرعية.

٣ ـ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب نشأت في نجد، وجماعات الغلو والتكفير نشأت خارج الجزيرة العربية.

٤ ـ جميع منظري جماعات الغلو والتكفير أقرّوا بأن فِكرهم ومنهجهم لم يُستق ولم يُتلقّ عن أحدٍ من أئمة الدعوة الإصلاحية، وعزو أصول فِكرهم ومنهجهم إلى شخصيتين رئيسيتين غير نجديتين: أبي الأعلى المودودي وسيد قطب.

٥ ـ جماعة الإخوان المسلمين كانت المحضن الرئيس والبيئة التي انطلقت منها جماعات الغلو والتكفير.

٦ ـ أسهمت معسكرات أفغانستان إسهاماً كبيراً في نشر فِكر الغلو

والتكفير، وكان لتنظيمي «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» الإسهام الأبرز في صياغة فكر الشباب القادم إلى أفغانستان.

٧ ـ تلقّى أسامة بن لادن فكر الغلو والتكفير من أفغانستان، وعلى يد جماعة «الجهاد» بالخصوص.

٨ ـ أبرز الشخصيات التكفيرية التي نظّرت لفكر الغلو والتكفير على سبيل التفصيل والتنظير: الطبيب الجرّاح سيد إمام، وتُعدّ مؤلفاته المرجع الرئيس لفكر الغلو والتكفير المعاصر.

٩ ـ أول التنظيمات التكفيرية نشأة: تنظيم «الجهاد» المصري، وقد نشأ امتداداً لتنظيم ٦٥ الذي أسسه سيد قطب وأعدم بسببه، ومن «جماعة الجهاد» انتقل الفِكر إلى أفغانستان، وعنها تلقّى أسامة بن لادن الفِكر، حتى أسس تنظيم «القاعدة»، وعن القاعدة نشأت «دولة العراق الإسلامية»، وعن «دولة العراق» تأسست «جبهة النصرة» في سوريا، ثم غُيّر الاسم إلى: «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، ثم إلى: «الدولة الإسلامية» بعد دخول الموصل وإعلان الخلافة.

١٠ ـ الأصول الفِكرية والمنهجية والعقدية لتنظيمي: «الدولة الإسلامية» المعروف بـ«داعش» و«جبهة النصرة» واحدة، وكلها تعود إلى فِكر التنظيم الأم «القاعدة».

١١ ـ الخلاف بين تنظيم «الدولة الإسلامية» من جهة، و"القاعدة» و«جبهة النصرة» من جهة، خلاف تنظيمي، يرجع إلى الصراع على الزعامة والرئاسة، وليس خلافاً فكريّاً أو عقديّاً.

١٢ ـ الأصول المنهجية والعقدية لدعوة الإمام الإصلاحية تقابل أصول جماعات الغلو والتكفير مقابلة الضد للضد.

١٣ ـ أثمرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية نتاجاً علميّاً ضخماً، تمثّل في: تخريج علماء ربانيين، وتأليف مؤلفات نافعة.

١٤ ـ أثمرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية أثراً عمليّاً عظيماً، تمثّل في: دولة إسلامية عظيمة ترتسم منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وصلاحاً في العباد والبلاد.

١٥ ـ نتاج جماعات الغلو والتكفير:

أ ـ كتبٌ فِكرية تؤصل لفِكر الخوارج، وتدعو إلى الثورة على الحكومات والمجتمعات، وتدعو إلى استباحة الدماء والأموال المعصومة.

ب ـ شبابٌ انحرفت أفكارهم، ناقمين على حكوماتهم ومجتمعاتهم، جاهلين بالشرع والواقع، مُفسدين لعقول العباد وأبدانهم.

ج ـ فسادٌ ودمارٌ للأفراد والمجتمعات.

١٦ ـ نسبة جماعات الغلو والتكفير للدعوة الإصلاحية ليس أمراً جديداً؛ بل لم يزل يُشيعه أهل الضلال للتنفير عن الدعوة.

١٧ ـ انتداب علماء الدعوة الإصلاحية للردّ على أباطيل وانحرافات جماعات الغلو والتكفير، يؤكد التباين بين الدعوة الإصلاحية وجماعات الغلو والتكفير.

هذا ما تيسر بيانه، والله أعلم، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قائمة المراجع

١ ـ **الإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة**، د. صالح بن فوزان الفوزان، جمع: محمد بن فهد الحصين، ط١، ١٤٢٥هـ، بدون دار نشر.

٢ ـ **إدارة التوحش**، أبو بكر ناجي، منبر التوحيد والجهاد.

٣ ـ **إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام**، عثمان بن عبد الرحمٰن التميمي، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، دولة العراق الإسلامية.

٤ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ت: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.

٥ ـ **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٦ ـ **أولى حروب القرن**، برنامج على قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٧ شوال ١٤٢١هـ.

٧ ـ **أيام مع جهيمان**، ناصر الحزيمي، ط٢، ٢٠١١م، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت.

٨ ـ **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، ت: علي شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩ ـ **البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠ ـ **بيان الهيئة الشرعية للدولة الإسلامية حول تكفير الجبهة الإسلامية**، الصادر في الأربعاء ١٦ جمادى الآخر، ١٤٣٥هـ.

١١ ـ **بيانات أبي محمد العدناني**، الشبكة العنكبوتية:
http://al-adneni.blogspot.com

١٢ ـ **بيعة الأمصار للإمام المختار**، أبو جعفر الحطاب، مطبوعات اللجنة الشرعية لجماعة أنصار الشريعة بتونس.

١٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ ـ **تاريخ الحركات الجهادية في مصر**، محمد خليل الحكايمة (ت٢٠٠٨م)، مطبوعات موقع الثابتون على العهد.

١٥ ـ **تاريخ المملكة العربية السعودية**، د. عبد الصالح العثيمين (ت١٤٣٧هـ)، ط١٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٦ ـ **تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والإفك والمين**، سليمان بن سحمان النجدي (ت١٣٤٩هـ)، ت: علي بن أحمد الرازحي، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠، دار الإمام أحمد، القاهرة.

١٧ ـ **التبرئة**، أيمن الظواهري، السحاب للإنتاج الإعلامي.

١٨ ـ **تخليص العباد من وحشية أبي القتاد**، عبد المالك الرمضاني، بدون دار نشر.

١٩ ـ **التعرية لكتاب التبرئة**، سيد إمام الشريف، منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الحادية عشرة بتاريخ ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٨م.

٢٠ ـ **التفسير السياسي للإسلام**، أبو الحسن الندوي (ت١٤٢٠هـ)، ١٩٨٠م، دار آفاق الغد، القاهرة.

٢١ ـ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي (ت٣٧٧هـ)، ت: محمد زاهد الكوثري، ط٢، ١٩٧٧م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

٢٢ ـ **تنظيم الدولة النشأة والأفكار**، وحدة الدراسات في مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، موقع الجزيرة نت.

٢٣ ـ **الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير**، أبو محمد المقدسي، ١٤١٩هـ، إصدارات غرفة الفجر.

٢٤ ـ **الجامع في طلب العلم الشريف**، عبد القادر بن عبد العزيز، منبر التوحيد والجهاد.

٢٥ ـ **جريدة القدس العربي**، عدد تاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٩٨م، لندن.

٢٦ ـ **جريمة العصر قصة احتلال الحرم**، د. عبد العظيم المطعني، دار الأنصار، القاهرة.

٢٧ ـ **الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج**، أبو قتادة الفلسطيني عمر محمود أبو عمر، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار البيارق، عمان.

٢٨ ـ **حتى لا يعود جهيمان**، توماس هيغهامر وستيفان لاكورا، ترجمة: د. حمد العيسى، ط٢، ٢٠١٣م، منتدى المعارف، بيروت.

٢٩ ـ **حكم الانتخابات لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين**، تسجيل صوتي على الشبكة العنكبوتية على موقع يوتيوب https://www.youtube.com

٣٠ ـ **الخوارج فتنة العصر**، عبد الله بن خلف السبت (ت١٤٣٣هـ)، ٢٠٠٩، دار الفتح، الشارقة.

٣١ ـ **داعش نهاية العالم**، وليام ماكانتس، ط١، ٢٠١٥م، St. Martins Press، نيويورك.

٣٢ ـ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم (ت١٣٩٢هـ)، ط٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣٣ ـ **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، عمر عبد الحكيم أبو مصعب السوري، منتدى التوحيد والجهاد.

٣٤ ـ **الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم**، أبو عبد الله محمد المنصور، بدون ناشر.

٣٥ ـ **الدولة الإسلامية داعش حقيقتها وأفكارها وموقف العلماء منها**، د. صالح الرقب، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

٣٦ ـ **الدولة النبوية**، وزير الحرب أبو حمزة المهاجر، ١٤٢٩هـ، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي.

٣٧ ـ **الرايات السود صعود داعش**، جوبي واريك، ط١، ٢٠١٥م، Anchor Books، نيويورك.

٣٨ ـ **الرد على الأخنائي**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمٰن المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة.

٣٩ ـ **الرد على الزنادقة والجهمية**، أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤٠هـ)، ت: محمد حسن راشد، ١٣٩٣هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٤٠ ـ **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، حسين بن غنام (ت١٢٢٥هـ)، ط١، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سوريا.

٤١ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن داود السجستاني (ت٢٧٥هـ)، ت: عزت الدعاس وعادل السيد، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت.

٤٢ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، ت: د. بشار عواد، ط٢، ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٤٣ ـ **السنن الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين الثقفي (ت٤٥٨هـ)، ط١، ١٣٤٤هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الهند.

٤٤ ـ **سيكلوجيا داعش**، حمزة المصطفى وعبد العزيز الحريص، منتدى العلاقات العربية والدولية.

٤٥ ـ **شرح العقيدة السفارينية**، محمد الصالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تفريغ الشرح الصوتي، المكتبة الشاملة.

٤٦ ـ **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، محمد الصالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٤٧ ـ **القرضاوي يعترف: خليفة داعش من الإخوان المسلمين**، شريط مرئي في موقع اليوتيوب بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠١٤م.

٤٨ ـ **شريط مسجل للشيخ عبد العزيز بن باز في شرح كتاب البيوع من «بلوغ المرام»**، شريط رقم ٢، السلفية مجلة التوحيد والسُّنَّة.

٤٩ ـ **الشيخ ابن عثيمين ما حكم البيعة لرؤساء التنظيمات وهي غير بيعة ولي الأمر**، شريط صوتي للشيخ محمد العثيمين، موقع اليوتيوب في الشبكة العنكبوتية.

٥٠ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ت: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت.

٥١ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت.

٥٢ ـ **الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق**، سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩هـ)، ت: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٥٣ ـ **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، ط١٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.

٥٤ ـ **عشرون عاماً على الشهادة**، عبد الله عزام، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية: موقع «بلادي تو دي» http://blady2day

٥٥ ـ **العقد الفريد**، أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، ت: مفيد قميحة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦ ـ **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي**، د. صالح بن عبد الله العبود، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ١٧، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٥٧ ـ **العلامات الفارقة في كشف دين المارقة**، د. مظهر الويس، مجلس شورى المجاهدين في المنطق الشرقية بسوريا.

٥٨ ـ **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، د. عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام (ت١٤٢٣هـ)، ط١، ١٣٩٨هـ، دار العاصمة، الرياض.

٥٩ ـ **العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله**، عبد القادر بن عبد العزيز، سلسلة التوحيد ٣، منبر التوحيد والجهاد.

٦٠ ـ **عنوان المجد في تاريخ نجد**، عثمان بن بشر النجدي (ت١٢٩٠هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٦١ ـ **عيون الرسائل والأجوبة على المسائل**، عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، ت: حسين محمد بوا، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد، الرياض.

٦٢ ـ **فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة**، جمع محمد بن حسين بن سعيد القحطاني، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، بدون دار نشر.

٦٣ ـ **فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر**، عبد المالك رمضاني، مكتبة الغرباء الأثرية.

٦٤ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، دار المؤيد، الرياض.

٦٥ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٠هـ)، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.

٦٦ ـ **فرسان تحت راية النبي ﷺ**، أيمن الظواهري، ط١، منبر التوحيد والجهاد.

٦٧ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦٨ ـ **في ظلال القرآن**، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، ط٣٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، دار الشروق، بيروت.

٦٩ ـ **في قلب داعش عشرة أيام داخل الدولة الإسلامية**، يورجن تودنهوفر، دير شبايغل، ألمانيا.

٧٠ ـ **القاعدة التنظيم السري**، عبدالباري عطوان، ط١، ٢٠٠٧م، دار الساقي، بيروت.

٧١ ـ **القاعدة الدولة الإسلامية حركة الجهاد العالمي**، دانييل بايمان، ط١، ٢٠١٥م، جامعة أوكسفورد، نيويورك.

٧٢ ـ **قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام**، أحمد عدنان وناصر الحزيمي ومنصور النقيدان، إصدار مركز المسبار.

٧٣ ـ **قل إني على بينة من ربي**، بيان صوتي لأبي بكر البغدادي، منشور في الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٧م.

٧٤ ـ **كشف الشبهات في مسائل العهد والجهاد**، فيصل بن قزار الجاسم، ط٦، ٢٠٠٧م، بدون دار نشر.

٧٥ ـ **الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية**، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.

٧٦ ـ **مجلة الأنصار**، العدد ٩٠ والعدد ١٤٧، نشرة أسبوعية تصدر عن أنصار الجهاد في الجزائر.

٧٧ ـ **مجلة الدعوة**، عدد ١٦٠٨ بتاريخ ١٠/ ٥/ ١٤١٨هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٧٨ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت٧٢٨هـ)**، دار الرحمة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧٩ ـ **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد**، ط٢، ١٤٠٨هـ، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

٨٠ ـ **مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز**، جمع د. محمد الشويعر، ط١، ١٤٢٠هـ، دار القاسم، الرياض.

٨١ ـ **مختصر جهاد المسلمين بين فهم الغلاة وتخذيل المرجفين**، د. عصام السناني، ١٤٢٧هـ، مصفوف على ملف وورد ومنشور في الشبكة العنكبوتية.

٨٢ ـ **مد الأيادي لبيعة البغدادي**، أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، ١٤٣٤هـ، بدون ناشر.

٨٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

٨٤ ـ **مستقبل الصراع في أفغانستان**، سيد إمام الشريف، منشور عبر حلقات في جريدة الشرق الأوسط، الحلقة الأولى بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٠م.

٨٥ ـ **مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام**، عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٩٣هـ)، ت: د. عبد العزيز الزير آل حمد، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٨٦ ـ **المصطلحات الأربعة في القرآن**، عبد الأعلى المودودي (ت١٣٩٩هـ)، تعريب محمد كاظم سبق، ط٨، ١٤٠١، ١٩٨١م، دار القلم، الكويت.

٨٧ ـ **معالم في الطريق**، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، ط٦، دار الشروق، بيروت.

٨٨ ـ **مقابلة تلفزيونية مع زعيم جبهة النصرة أبي محمد الجولاني**، قناة الجزيرة الفضائية نُشرت بتاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٣م.

٨٩ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، المكتبة العصرية، بيروت.

٩٠ ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨)، ت: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت.

٩١ ـ **المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان**، المكتبة الشاملة.

٩٢ ـ **المنفى** (The Exile)، كاثي سكوت كلارك/ أدريان ليفي، ط١، ٢٠١٧م، بلومزبيري Bloomsbury، أمريكا.

٩٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ت: د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٩٤ ـ **منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع**، سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩هـ)، ت: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة الفرقان، عجمان.

٩٥ ـ **موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب**، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٩٦ ـ **موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب**، ملحق المصنفات.

٩٧ ـ **موقع الثابتون على العهد على الشبكة العنكبوتية**.

٩٨ ـ **الموقع الرسمي لعلي بن حاج على في الشبكة العنكبوتية**: www.alibenhadj.net

٩٩ ـ **ميزان الاعتدال في تقييم كتاب المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، أبو محمد المقدسي، الموقع الالكتروني لمنبر التوحيد والجهاد، www.ilmway.com

١٠٠ ـ **نصوص الفقهاء في حكم الإغارة والتترس**، فارس بن شويل الزهراني، منبر التوحيد والجهاد.

١٠١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، ت: طاهر الزاوي ومحمود الصناحي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠٢ ـ **هذه عقيدتنا**، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.

١٠٣ ـ **وقفات مع ثمرات الجهاد بين الجهل بالشرع والجهل بالواقع**، أبو محمد المقدسي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠١٠م، منبر التوحيد والجهاد.

الفهرس

الموضوع | الصفحة